تدبر سورة الجمعة

المحاضرة:10

١ التعريف بالسورة

- سورة الجمعة سورة مدنية بلا خلاف، تناولت الحديث عن اليهود، وبيّنت شأن صلاة الجمعة وأهميتها، وتركّز على أهمية العمل والتحذير من تركه.
- وكان النبي ﷺ يقرأ بها أحيانًا في صلاة الجمعة؛ فيقرأها في الركعة الأولى ويقرأ سورة المنافقون في الركعة الثانية، وهي سنة مهجورة. وكذلك القراءة بسورة الأعلى والغاشية ثابتة وصحيحة أيضًا.
- فحريٌّ بنا إحياء هذه السنن ونشرها.

(الآية 1):

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾

١ ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾

- جاء التسبيح هنا بصيغة المضارع
بينما جاءت في مواضع أخرى بصيغة الماضي: (سَبَّحَ لِلَّهِ)
وجاءت في سورة الأعلى بصيغة الأمر: (سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى)
- وكأن المراد أن يجتمع التسبيح لله في الماضي، والحاضر، والمستقبل.

- معنى التسبيح:
- التسبيح: هو تنزيه الله سبحانه وتعالى عن كل نقص وعيب؛ لا نقص في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، ولا في شرعه، ولا في كلامه، وله الأسماء الحسنى، وتنزيهه عز وجل عن الشريك والولد والنظير.

- عندما تطيع الله وتستجيب لأمره، فإنك تسير في الطريق الفطري الذي تسير عليه كل المخلوقات؛ فقد يبدو الملتزم غريبًا بين الناس، لكنّه في الحقيقة منسجم مع الكون كله، فالسماء والأرض وسائر المخلوقات تطيع الله وتسبّحه، كل شيء يسبح بحمد الله، إلا ما كان من الشياطين والعصاة والكفار من البشر.

٢ محاور السورة

- 1- الاصطفاء:
السورة تدور حول معنى الاصطفاء، وبيان من يصطفيه الله والأسباب.
- 2- اصطفاء الأمة المحمدية:
يتجلّى في بعثة النبي ﷺ في الأميين (العرب)، وبيان فضل هذه الأمة واختيارها.
- 3- إخراج اليهود من الاصطفاء:
لعدم استجابتهم لأوامر الله.
- 4- اصطفاء الزمان والعبادة:
يظهر في اصطفاء يوم الجمعة وصلاة الجمعة.
- 5- تفضيل الآخرة على الدنيا:
تأكيد أن ما عند الله خير من اللهو والتجارة، وأن الرزق بيد الله وحده.

٢ ﴿ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾

- أسماء الله وصفاته تعزز سلوك المسلم الملتزم.
- (ٱلۡمَلِكِ) يملك كل شيء، ومن يخدمه في طاعته يشعر بالأمان والطمأنينة.
- (ٱلۡقُدُّوسِ) منزه عن كل عيب ونقص، فأوامره عدل وأحكامه صادقة، والمشي في مراده يضمن صحة الأعمال رغم عدم فهم الحكمة أحيانًا.
- (ٱلۡعَزِيزِ) لا يغالب، يملك القوة والسلطان، يحفظ المؤمن من الأعداء والأذى، ويؤمن له الرزق والزواج وكل الخير.
- (ٱلۡحَكِيمِ) يضع كل شيء في موضعه الصحيح، لا يخطئ في القول أو الفعل، وعزته لا تؤثر على حكمته، وحكمته لا تؤثر على عزه، فهو العزيز الحكيم.
- الحكمة: هي الإصابة في القول والعمل.

تدبر سورة الجمعة

المحاضرة:10

(الآية 2):

﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾

١ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ

- الأمي هو من لا يقرأ ولا يكتب.
- الأميين: نسبةً إلى الأم، أي كما ولدته أمه لا يقرأ ولا يكتب، وهم العرب.
- بعث الله النبي ﷺ في العرب، والأمي لا يعني الجهل، فهذه الأمة كانت تحفظ العلم كالأنساب والأشعار واللغة عن طريق الفهم والحفظ في الصدور، ويعتمدون على الذاكرة، وكان النبي ﷺ منهم، لذلك سُمّي "الرسول الأمي".
- اعتماد الأمة على الحفظ في الصدور قد حافظ على القرآن والدين من التحريف، لذلك كان حفظ العلم في الصدور أكثر قوة وأمانًا من مجرد الاعتماد على الكتب المكتوبة.

٢ أمية النبي ﷺ

- أمية النبي ﷺ لا تعني الجهل، بل كانت ميزة عظيمة فيه؛ لأنها نفت عنه شبهة كان يمكن أن تؤثر على تصديق الناس له؛ فلو كان يقرأ ويكتب لقال الناس: ربما أخذ هذه العلوم من كتب السابقين.
- وقد بين الله هذا في سورة العنكبوت: (وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ * بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّـٰلِمُونَ)

٣ ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾

- وظيفة النبي ﷺ تلاوة وتعليم وتزكية الأمة، وهي وظيفة كل داعية بعده فقد كان يقرأ عليهم آيات الله، ويعلمهم الكتاب والحكمة، ويزكيهم.
- التزكية تشمل أمرين:
- معنى التزكية: زكّى الشيء أي نما. فيقال: الزكاة تعني الطهارة.

1- التطهير: "التخلية" إزالة الرذائل والعيوب والأخلاق السيئة والشرك والكبائر والبدع.

2- النماء: "التحلية" تنمية النفس بالتوحيد والأعمال الصالحة والفضائل من واجبات وسنن.

وهو الهدف من تلاوة الآيات، ونيةٌ يُتعبد بها.

٤ ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾

يحتمل قولين:

- القول الأول: فالمقصود فهم القرآن والتفقه فيه

الكتاب: القرآن.

الحكمة، وفيها معنيان:

السنة، وغالبًا الحكمة لما تقترن بالقرآن يكون المقصود بها هو السنة.

فهم القرآن.

ولا تعارض بين القولين

- القول الثاني:

الكتاب: الكتابة، لأن القرآن بعث في أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب، فأراد الله أن يمتن عليهم بتعليم الكتابة لتوثيق الوحي ولضمان استمرار الدين عبر الزمن.

الحكمة: الاستقامة في القول والعمل، أي تطبيق ما كُتب وتدبره بما يحقق الاستقامة العملية.

- والقولان متكاملان لايتعارضان.

٥ ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾

- العرب كانوا على ملة إبراهيم، لكنهم حرفوا أحكام التوحيد وأشركوا، وكانت الأقوام الأخرى في ضلال.

(الآية 3) :

﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾

١ ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ﴾

الواو واو عطف، وفيها قولان:

- معطوف على "الأميين"، وفيه دليل على شمولية الرسالة.
- معطوف على "يعلمهم"، أي أن الرسالة كانت لتعليم الأميين وغيرهم على حد سواء.

ولا تعارض بين القولين.

٢ ﴿لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾

تفسيران شائعان:

- التفسير الأول: المقصود هم الذين لم يشاركوا الصحابة في الصحبة المباشرة ولا في فضلها الخاص.
- التفسير الثاني: لم يلحقوا بهم زمنًا، أي جميع الأجيال بعد الصحابة.

تدبر سورة الجمعة

المحاضرة:10

(الآية 4) :

﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾

١ ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ﴾

- التفسير الأول: يشير إلى فضل النبوة ومنحه للنبي محمد ﷺ.
- التفسير الثاني: فضل الله على الأمة ببعثة النبي ﷺ، وجعلها أفضل الأمم بذلك.
- التفسير الثالث: فضل الله على العرب من حيث كونهم جنسًا مفضلًا على العجم وغيرهم.
- التفسير الرابع: فضل الله على غير العرب أن شملهم برسالة الإسلام، ثم إنه جعل التفاضل يوم القيامة بالتقوى لا بالجنس، كما قال ﷺ:«لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى»

٢ ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾

- هذا الفضل من الله وحده، وهو ذو الفضل العظيم.
- فضل الله الحقيقي هو الفضل الأعلى: الهداية والاستقامة وحسن الخاتمة ودرجات الجنة، وهو مرتبط بما عند الله، الذي هو خير من اللهو والتجارة. أمّا مفاضلة الدنيا فظاهرية زائلة وليست الفوز العظيم. والتنافس الحقّ إنما يكون على العمل الصالح، والتوحيد، والتوفيق، والهداية، والإعانة، والسداد، ورفعة الدرجات في الجنة.
- وهذا الفضل لا يُنال إلا بالعمل

(الآية 5) :

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

١ ﴿حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾

- أي كلفوا بها وأمرهم الله العمل بها، والالتزام بما فيها من أحكام وهداية، وأداء حقها والدعوة لها.
كما في قوله تعالى:(خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم)[البقرة : ٩٣]
- وليس مجرد الحفظ بلا فهم أو تطبيق، وقد ذم الله الذين يحفظون الكتاب دون عمل أو فهم وتدبر:
(وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ)[البقرة: ٧٨]

٢ ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾

- أي لم يفهموها ولم يطبقوها، بل حرفوها وضيعوها،
فهم في الحقيقة لم يحملوها.

٣ ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾

- ضُرب المثل بالحمار لأنه من أردأ الحيوانات في نظر الناس، وهو يحمل الكتب ولا ينتفع بها.
- الأسفار: الكتب العظيمة، وسُمّيت أسفارًا لأنها تُسفر عمّا فيها، أي تُظهره.
ومنه سُمّيت المرأة التي تُظهر زينتها سافرة.

ضرب الله في القرآن أقسى مثلين لمن لا يعملون بعلمهم:

- المثل الأول: الحمار
وقد شبه به اليهود في عدم العمل. في سورة الجمعة.
- المثل الثاني: الكلب في سورة الأعراف:(وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)

٤ ﴿بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

- أظهر الله صفة الظلم لبيان سبب عدم هدايتهم، لأنهم ظلموا أنفسهم واستمروا في ظلمها.
- الهداية مرتبطة بحكمة الله وعدله، فلا توضع فيمن لا يستحقها، كما لا تُزرع البذرة في أرض بور، بل في أرض طيبة

تدبر سورة الجمعة

المحاضرة:10

(الآية 6) :

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾

١ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾

- كانت مشكلتهم أنهم أرادوا الفضل بلا عمل، كما يفعل بعض الناس اليوم؛ يتوهم بالمكانة بسبب المظاهر:
فيظن أنه يستحق المراتب والفضل لمجرد المظاهر، كالشيخ بلحية أو المرأة بالحجاب أو النقاب، رغم تركهم الفرائض والطاعات مثل قيام الليل، صلاة الفجر، أو ورد القرآن، معتقدين أن الأمر قد اكتمل.
- وهذا خطأ؛ فالدين يُؤخذ كاملًا، كما قال الله تعالى:(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ)[البقرة: ٢٠٨]
- فاللحية سنة مؤكدة،، والنقاب من شعائر الإسلام، لكن الدين منظومة كاملة، لا يُؤخذ بعضه ويُترك بعضه.

٢ ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾

- تمني الموت المقصود به "المباهلة" أي أن يدعو كل طرف على الكاذب أن يُهلكه الله.

(الآية 7) :

﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾

ولهذا فهم لا يتمنون الموت أبدًا، لأن أعمالهم سيئة، ومن كان عمله سيئًا خاف الموت.
قال النبي ﷺ :«لو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا، ولو أن النصارى باهَلوا لرجعوا لا يجدون أهلًا ولا مالًا».

(الآية 8) :

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

١ الوصية بالاستعداد للموت

- قال بن عمر رضي الله عنه :«إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وخذ من حياتك لموتك، ومن صحتك لمرضك».
- وكانوا يقولون عن حمّاد بن سلمة: لو قيل له إن القيامة غدًا ما زاد شيئًا في عمله.

- فالوصية:اعمل كل يوم عمل مودّع،وصلِّ صلاة مودّع، وتكلّم كلام مودّع، وصم صيام مودّع.
وذكر الموت لا يُعجّله، ونسيانه لا يؤخّره، بل هو أنفع ما يكون للقلب.

٢ ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

- الهروب من الموت لا يمنعه، الموت آتٍ في موعده، ثم سيقف الإنسان للحساب دفعة واحدة على كل شيء.

٣ استعداد الصحابة رضوان الله عليهم للموت

- يقول خالد بن الوليد رضي الله عنه واصفًا الصحابة:«يحبون الموت كما يحب أعداؤهم الحياة».

- ولما حضر الموت معاذ بن جبل رضي الله عنه قال:«مرحبًا بالموت، مرحبًا، زائرًا مغيبًا، حبيبًا جاء على فاقة.
اللهم إنك تعلم أني ما كنت أحب الحياة من أجل غرس الأشجار ولا جري الأنهار، ولكن كنت أحبها من أجل ظمأ الهواجر، وقيام الليالي الطويلة، ومزاحمة العلماء بالركب في حلق العلم».
- ولما حضرت الوفاة سيدنا بلال رضي الله عنه، بكت أخته، فقال لها: «ما يبكيك؟ غدًا ألقى الأحبة، محمدًا وحزبه».

- الخوف من الموت سببه عدم الاستعداد له؛ فاستعد.

تدبر سورة الجمعة

المحاضرة:10

(الآية 9) :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾

١ تسمية السورة

- ذكرت الجُمعة في القرآن بالضم. وتقال بالفتح والسكون أيضا.
- ذكر الله يوم الجمعة لأنه يوم التفضيل، وسُمّيت السورة بإسمه: فسُمّي يوم الجمعة من الجمع، واختلف العلماء في أي جمع هو:
- قيل: لأن الناس يجتمعون فيه لصلاة الجمعة.
- وقيل: لأن الله جمع فيه خلق آدم.
- وقيل: لاجتماع خلق السماوات والأرض فيه.

٢ فضل يوم الجمعة

- جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال:«خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة؛ فيه خُلق آدم، وفيه أُهبط، وفيه تُيب عليه، وفيه قُبض، وفيه تقوم الساعة».
- وقال عليه الصلاة والسلام:«ما على وجه الأرض من دابة إلا وهي تصبح يوم الجمعة مُصيخة حتى تطلع الشمس شفقًا من الساعة إلا ابن آدم، وفيه ساعة لا يصادفها عبد مؤمن وهو في الصلاة يسأل الله شيئًا إلا أعطاه إياه».
- ومعنى مُصيخة: أي مستمعة؛ فالحيوانات خائفة لعلمها أن الساعة تقوم في يوم جمعة، إلا بني آدم، الذي يعيش في غفلة.

٣ في الجمعة عبر للأمة

- يوم الجمعة هو اليوم المعظّم عند الله، اليوم الذي اكتمل فيه الخلق وخلق الله فيه آدم. وقد كان يوم الجمعة معروضًا على الأمم السابقة من اليهود والنصارى، لكنهم اختلفوا فيه وغيروه: فجعل النصارى الأحد يومهم، واليهود جعلوه السبت.
- أما الله فهدى أمتنا لهذا اليوم، فجعل الجمعة يومًا مباركًا وموصوفًا بالتفضيل الإلهي.
- قال النبي ﷺ :نَحْنُ الآخِرُونَ الأوَّلُونَ يَومَ القِيامَةِ، ونَحْنُ أوَّلُ مَن يَدْخُلُ الجَنَّةَ، بَيْدَ أنَّهُمْ أُوتُوا الكِتابَ مِن قَبْلِنا، وأُوتِيناهُ مِن بَعْدِهِمْ، فاخْتَلَفُوا، فَهَدانا اللَّهُ لِما اخْتَلَفُوا فيه مِنَ الحَقِّ، فَهذا يَوْمُهُمُ الذي اخْتَلَفُوا فِيهِ، هَدانا اللَّهُ له، قالَ: يَوْمُ الجُمُعَةِ، فالْيَومَ لَنا، وغَدًا لِلْيَهُودِ، وبَعْدَ غَدٍ لِلنَّصارَى.

٤ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾

- ميّز الله الصلاة التي يجتمع فيها الناس، وهي صلاة الجمعة.

٥ ﴿إِذَا نُودِىَ﴾

- المقصود هو النداء الذي يكون بعد الخطبة.
- كان الأذان واحدًا في عهد النبي ﷺ ، ثم الخطبة، وكذلك في عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ثم أضاف عثمان رضي الله عنه الأذان الأول يوم الجمعة؛ لأن المدينة اتسعت، فكان لتنبيه الناس البعيدين ليستعدوا ويحضروا، فانتشر العمل به في كثير من المساجد منذ ذلك الوقت.

٦ ﴿فَٱسۡعَوۡاْ﴾

لها ثلاثة احتمالات في اللغة:

- الاحتمال الأول: السعي بمعنى المشي السريع كما في قوله تعالى:(وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ)[القصص: ٢٠]
أي يجري.
لكن لا يجوز حمل الآية على الجري أو الهرولة أو الإسراع المنهي عنه؛ لأن النبي ﷺ نهى عن ذلك صراحة، في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي ﷺ :«إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم السكينة والوقار، ولا تسرعوا، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا».
- الاحتمال الثاني: السعي بمعنى القصد والاهتمام كما قال تعالى:(وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا)
[الاسراء: ١٩]
أي قَصَدَها واهتم بها.
- الاحتمال الثالث: السعي بمعنى العمل
كما قال تعالى: (وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ)
[النجم: ٣٩]
المراد من السعي في الآية: انتبهوا، واقصدوا صلاة الجمعة بقلبكم وجوارحكم، وابدؤوا بالاستعداد لها بجملة من الأعمال، منها:التنظف، والاغتسال، ولبس أحسن الثياب، والتطيب، والتدهن.

٧ ﴿فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾

- ذِكْر: أي خطبة الجمعة.
- ربط السعي بالذّكر مباشرة.
- وسمّى الله الخطبة ذكرًا، لأنها تشتمل على ذكر الله.

٨ ﴿وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَ﴾

- جاء الأمر صريحًا للتأكيد على تقديم العبادة والذكر على شواغل الدنيا، تعظيمًا لها.

تدبر سورة الجمعة

المحاضرة:10

٩ حكم شراء المرأة من رجل تلزمه الجمعة

- لا يجوز للمرأة أن تشتري من رجل تجب عليه صلاة الجمعة بعد الأذان الثاني، لأن ذلك يعينه على ترك الصلاة والانشغال بالبيع، وهو سبب في الإثم.
- والمرأة بذلك آثمة لأنها تعلم حرمة هذا البيع

١١ ﴿ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

- الثقة بالله الرزاق؛ أن ما تتركه طاعةً له لا يكون خسارة، بل خيرًا وبركة في الرزق والعاقبة. فترك البيع المحرَّم، أو تفويت أمر دنيوي كزواج من أجل طاعة الله، هو خير مما ناله بمعصية، فالصلاة سبب للرزق لا مانعًا له.

(الآية 10) :

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

١ ﴿وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾

- المقصود بفضل الله هو التجارة وطلب الرزق الحلال. وقد أذن الله بالانتشار بعد الصلاة للبيع والشراء. والبيع الحلال واتباع الطريقة الشرعية فضل من الله، أما البيع بالحرام فلا خير فيه ولا بركة، كالغش الذي ينقص البركة ولا يزيد الرزق.

(الآية 11) :

﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾

١ سبب نزول الآية

- حدث أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا حاضرين صلاة الجمعة مع النبي ﷺ ، فدخل رجل غير مسلم (دحية بن خليفة) بالمدينة ومعه تجارة، وضرب الطبول لإعلان وصول بضاعته.
- انفضّ بعض الصحابة عن الخطبة، وتركوا النبي ﷺ قائمًا على المنبر، وبقي معه اثنا عشر صحابيًا فقط.

- معنى اللهو وحكم المعازف

التجارة المقصودة هي تجارة دحية بن خليفة، وأما اللهو فهو الطبل الذي أعلنه.

- وجود الطبل فيه قولين:
- القول الأول: قبل تحريم المعازف.
- القول الثاني: لأن التاجر كان كافرًا.
- قال النبي ﷺ : «ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف».

وصف الله الطبل باللّهو إما لأنه محرم، أو تمهيدًا لتحريم كل ما يلهي عن الطاعات.

١٠ أحكام خاصة بصلاة الجمعة

- يجوز البيع والشراء بعد الأذان الأول ولا حرج في ذلك.
- يحرَّم البيع والشراء بعد الأذان الثاني، وهو الأذان الذي يكون بعده الخطبة.
- كل عقد يُبرم بعد الأذان الثاني لا يجوز كالإجارة وعقد النكاح.
- لا تجب الجمعة على المرأة والمسافر، فيجوز لهما البيع والشراء.
- الرجل المقيم الصحيح، الذي لا عذر له يمنعه من حضور الجمعة، لا يجوز له البيع ولا الشراء بعد الأذان الثاني، ويكون ذلك حرامًا عليه.
- كل بيع وشراء يتم بعد الأذان الثاني هو بيع محرَّم، ولو كان صاحبه ينوي الصلاة بعد ذلك، لأن التحريم يبدأ من وقت الأذان لا من إقامة الصلاة.

- يجوز للمرأة أن تشتري وتبيع لامرأة مثلها بعد الأذان الثاني ولا حرج في ذلك.

٢ ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

- لأن الأسواق مظنّة الانشغال والغفلة وكثرة اللغو، أكّد الله على الإكثار من ذكره أثناء البيع والشراء.

٣ ﴿لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

- ربط الفلاح بكثرة الذكر.

٢ ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾

- أي: ما عند الله من أجر وصلاة الجمعة وما فيها من فضل خير من كل انشغال بالدنيا، وكل تجارة أو لهو.
- وقيل إن اللهو المقصود يشمل أي انشغال عن طاعة الله.

- ويقاس على ذلك في يومنا: من يترك الصلاة من أجل الدراسة، أو العمل، السفر، أو الزواج وأي مشاغل أخرى، فقد خسر وفاتته أضعاف ما ظن أنه كسبه.

٣ ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾

- بشارة بأن الله هو خير من يرزق، ويعطي أفضل مما نتخيله.
- دعاء عِراك بن مالك رضي الله عنه كان يقول بعد صلاة الجمعة:«اللهم إني أجبت دعوتك، وصليت فريضتك، وانتشرت كما أمرتني، فارزقني من فضلك، وأنت خير الرازقين».

تدبر سورة المنافقون

المحاضرة:11

١ التعريف العام بالسورة

- سورة المنافقون سورة مدنية باتفاق العلماء، وقد عالجت ظاهرة النفاق التي ظهرت في المدينة المنورة، وتطرقت إلى بعض الوقائع التي حدثت في غزوة بني المصطلق، كما كشفت مواقف عبد الله بن أُبيّ بن سلول زعيم المنافقين.

٢ محور السورة

- 1. صفات المنافقين وأحوالهم، وبيان خطرهم، والتحذير من مكرهم، وكيفية التعرّف على علاماتهم والتعامل معهم.
- 2. طريق النجاة من النفاق وبيان وسائل السلامة.

(الآية 1):

{إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ}

١ {إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ}

- أسلوب الشرط يدل على التكرار، أي أن هذا القول كان يتردد على ألسنة المنافقين كلما حضروا بين يدي النبي ﷺ.
- **سرّ التكرار وعلامة الريبة:**
  إن الإلحاح وكثرة الدفاع عن النفس دون اتهام من علامات الشك والريبة، وهو ما يُعدّ سمة بارزة من سمات النفاق.
- فالإنسان المرتاب يوشك أن يفضح نفسه بنفسه دون أن يُسأَل أو يُتَّهَم.

٢ ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾

- يقولون ذلك بألسنتهم، لكن الله يعلم كذبهم، ويعلم أنهم في الباطن مكذّبون للنبي ﷺ، رافضون لرسالته.

٣ { وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ}

- وهذا ما يُسمّى في البلاغة بـ "الاحتراز"؛ أي دفع توهّم معنى باطل.
- فلو قيل فقط: {وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ}، لظنّ بعض الناس أنهم كاذبون في أصل رسالة النبي ﷺ.
- فجاء الاحتراز لبيان أن الكذب ليس في الرسالة، بل في ادعائهم الإيمان بها.
- فالرسالة حق، والنبي ﷺ رسول الله يقينًا، وهم كاذبون في زعمهم أنهم يؤمنون بذلك.

(الآية 2):

{ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ}

١ {ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ}

- أي كثرة الحلف وقايةً وحمايةً لأنفسهم.
- هم يحلفون بالإيمان والصدق، فيُعاملون كالمؤمنين ويعصمون دماءهم وأموالهم ويشاركون في الغزوات وينالون الغنائم.

٢ خطورة الحلف الكاذب وعقوبته

- **جاء في الحديث القدسي:**
  قال الله تعالى: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حرًا فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه ولم يعطه أجره.
- من يحلف كذبًا على الإيمان ويخدع المؤمنين، فجزاؤه الدرك الأسفل من النار.
- الحلف بالكذب أعظم من الكذب نفسه، فلا تتوصل إلى الحرام باليمين.
- فاليمين الغموس من أكبر الكبائر كما بيّن النبي ﷺ، وسُمّيت يمينًا لأن العرب كانوا إذا تحالفوا أخذ أحدهم يمين صاحبه.

٣ صفات المنافق في الأيمان

- الكذب في الحلف.
- كثرة الحلف، فاحذر أن تكون منافقًا.
- **فائدة في قوله تعالى:** {وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ} [المائدة: ٨٩]
  قال العلماء: من حفظ اليمين ألّا يُكثر منها.
  لا يُستعمل اسم الله إلا في الأمور العظيمة.
- كثرة الحلف تُهوّن من قيمة اليمين وتُضعف هيبتها.
- الإفراط في الحلف قد يدفع صاحبه للكذب.

تدبر سورة المنافقون

المحاضرة:11

٤ {فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ}

- ذكر العلماء في تفسيرها معنيين صحيحين:
- المعنى الأول: صدّوا أنفسهم، لأن المنافق يحلف أنه صالح وصادق ليخدع الناس، فيظنونه كذلك، فلا يُنصح ولا يُعين على التوبة، فيصدّ نفسه عن سبيل الله.
- المعنى الثاني: صدّوا غيرهم، أي إنخدع بهم الناس فيختلطون بهم ويأمنونهم، فيبثّون الشبهات ويثيرون الفتن ويفسدون من حيث لا يشعر بهم.

١ { ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ}

- أي أنهم آمنوا في الظاهر ثم كفروا في الباطن، فعادوا من الإيمان إلى حقيقة الكفر.

(الآية 4):

{وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ}

١ {وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ}

- وذلك لأن المنافق يسعى خلف المال والدنيا والمناصب والوجاهة، فيتلقّى دعمًا من الكافرين لإنتاج البرامج، وإطلاق الحملات، وصناعة الدعاية والإعلانات المموَّلة، والإنفاق على شخصه؛ فيظهر في أبهى صورة: لباس فاخر، وطعام جيّد، وصحّة ظاهرة، ورفاهية عيش.
- لا تدل المظاهر على الصدق؛ فحُسن المظهر، وقوة الخطاب، وطلاقة اللسان لا تكفي، الميزان الحقيقي هو السَّمْت والهَدْي، لا الزينة ولا حسن المقال.

٣ نصيحة للشباب

- اعرف الحق أولًا، ثم اعرف أهله، ولا تجعل الأسماء والواجهات حجابًا بينك وبين الحقيقة، لا تخدعك العواطف ولا المظاهر، لا تُسَلِّم لأحدٍ لمجرد أنه يتكلم باسم الدين، ولا تُسَوِّغ الكلام لمجرد أن قائله "طيب الظاهر".
- رُبَّ متكلمٍ يرفع راية الإسلام وهو يُهدد بنيانه من حيث لا يشعر.

٥ {إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ}

- ذمٌّ لأفعال المنافقين لأنهم اتخذوا أيمانهم سترة للكفر والصد عن سبيل الله.

(الآية3) :

{ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ}

٢ {فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ}

- الطبع على القلوب، فلا تعي وعظا، ولا توفق للخير.
- عدم الفقه: أي عدم الفهم.
- المنافق لا يفقه، وكذلك الكافر، طُبع على قلوبهم لأنهم تجاوزا حدود المعاصي، ونافقوا عن علم، وكفروا بالرسالة، ولم يشهدوا بنبوّة الرسول، ولم يطلبوا الهداية، بل يمكرون ويدّعون ويُفسدون.

٢ {كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ}

- القول الأول: لا قيمة لهم ولا فائدة بل وجود الضرر، فهم كالخشبة المسندة إلى حائط، لا تُستعمل في شيء، بل قد تكون مضرّة؛ فقد يتعثر بها أحد، أو تسد الطريق، أو تُعطّل المرور.
- وجه الشبه كالأذى في الطريق الذي يُؤمر بإماطته. ولهذا قال الله تعالى بعدها:(فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ)
- القول الثاني: لا قِوام لهم بأنفسهم، فالخشبة المسندة لا تقف وحدها، بل هي مستندة إلى غيرها.
- وجه الشبه كذلك المنافق:لا يقوم إلا لأنه مستند إلى أهل الإيمان، يتظاهر بالإيمان، فيأخذ وجاهة المؤمن، وهيئته، ومكانته، وبهذا الاستناد ينال قدرًا من الأمان، ويضمن بقاءه، فتُعصم نفسه وماله.

٤ {يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ}

- فهم يخافون من نزول الآيات أن تفضح ما في قلوبهم. فالمنافق دائم القلق مرتاب لأنه يعلم أنه على باطل، فيظن أن كل صوتٍ موجَّه إليه، ويخشى انكشاف أمره. ويخافون من آيات العذاب أو الوعيد، يشعرون أن الآية موجّهة لهم.
- ومن المعاني أيضًا، أن الصيحة هنا هي صيحة الجهاد.
- فإذا نودي فيهم: "جاهدوا" كانوا أول من يفرّ.

تدبر سورة المنافقون

المحاضرة:11

٥ {هُمُ ٱلۡعَدُوُّ}

- المنافقون أخطر من الكافر؛ الكافر صريح العداوة.
- أما المنافق، فمشكلته أنه يتستر بالإسلام، فيُريك الناس، ويُفسد من الداخل، ويصعب كشفه أو التعامل معه بوضوح، ولهذا كان أخطر إذ ينخر في جسد المسلمين، وغالبًا لا يُعرف، ولا يمكن التعامل معه.
- ولذلك لم يُقتل المنافقون في زمن النبي ﷺ ، حتى لا يُقال إن محمدًا يقتل أصحابه، فتتشوّه صورة الإسلام.

٧ {فَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ}

- الدعاء عليهم بالهلاك واللّعن.

(الآية 5):

{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ يَسۡتَغۡفِرۡ لَكُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوۡاْ رُءُوسَهُمۡ وَرَأَيۡتَهُمۡ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ}

١ نزول الآيات

- قيل: هذه الآيات نزلت في عبد الله بن أبيِّ بن سلول، زعيم المدينة قبل مجيء النبي ﷺ، كان له وجاهة بين الناس، أظهر إسلامه بعد بدر، ولم يظهر نفاقه إلا متأخرًا.

٣ {لَوَّوۡاْ رُءُوسَهُمۡ وَرَأَيۡتَهُمۡ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ}

- لوى رأسه استكبارًا، أعرض بجسده وقلبه، وهذا هو قمة النفاق: يُعرض عليه أعظم شرف، فيرفضه كِبرًا.

(الآية 6):

{سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ}

- تأكيد حتمية عدم مغفرة الله للذين كفروا، فلا تنفعهم شفاعة أو استغفار، بسبب فسقهم وفساد أعمالهم.

٦ {وَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ}

- فكان الحل واضحًا: الحذر والتحذير منهم، ومعرفة خطرهم، وعدم الاغترار بظاهرهم.
- يُتعامل مع المنافق بأمرين:
ألّا يُقدَّم ولا يُمكَّن، فلا يُوضع في موضع تأثير.
وألّا يُصغى إليه، ولا يُؤخذ كلامه بعين الاعتبار.
ولأجل ذلك حرص الكفار على العكس: أن يتصدَّرَ هؤلاء المنافقون وأن يُستمع لهم.
- خطر المنافق: قائم ما دام له مستمعون، لأن قوته في الكلام والتأثير لا في السلاح المباشر.
فإذا وجد من يسمع له، استمر في نشر الشبهات وبث الفتنة.
- الموقف منهم: عدم السماع لهم والتضيّيق عليهم والحدّ من تأثيرهم، حتى يتركوا طريقهم أو يتوبوا إلى الله.

٢ مواقف عبدالله بن سلول الدالّة على نفاقه

- 1- تعظيم النفس والتقدُّم الظاهري للنبي ﷺ، كان عبد الله بن أُبيّ يستغل مكانته الاجتماعية قبل الإسلام.
- 2- الانسحاب بثلث الجيش في غزوة أُحد قبل القتال، هذا أول عمل فاضح لنفاقه، إلا أن بعض الناس لا زالت تظن به خيرًا.
- 3-رفضه استغفار النبي ﷺ له لما لحقه بعض الصحابة وقالوا: «ارجع، يستغفر لك رسول الله» قال بوضوح: «والله ما أبتغي أن يستغفر لي» وهنا نزلت الآية الكريمة.
- 4-حادثة وشاية الغلام وكشف كذبه، في رواية أخرى أن سبب نزولها، أن غلامًا من قرابته سمعه يتكلم بكلام نفاق فأخبر النبي ﷺ.
عبد الله بن أُبيّ:فأنكر وحلف بالله كذبًا، فلام الأنصار الغلام.
فأنزل الله الآيات تبرئة للغلام وفضحًا لعبد الله بن أُبيّ.
ثم قيل له: «تعالَ يستغفر لك رسول الله»، فلوى رأسه وقال: لست فاعلاً.
- 5-وكان من أعماله التحريض الاقتصادي على الصحابة.

تدبر سورة المنافقون

المحاضرة:11

(الآية 7):

{هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ}

١ القصة

- وقع شجار على الماء بين رجلين من الأنصار والمهاجرين، عندها جلس عبد الله بن أُبيّ مع قومه، وسمع ما يحدث، فقال: "قد ثاوَرُونا في بلادنا! والله، ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال القائل: 'سَمِّن كلبك يأكلك'!"
  وكان يقصد النبي عليه الصلاة والسلام.
- ثم تابع قائلاً:"والله، لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجنَّ الأعز منها الأذلّ!"
- وأقبل إلى من كان عنده من قومه من المنافقين وقال لهم: "هذا ما صنعتم بأنفسكم! لقد أعطيتم هؤلاء النخل والثمار، وقاسمتمهم الأموال. أما والله، لو كففتم عنهم، لتحوّلوا عنكم من بلادكم إلى غيرها!"
  يقصد نفسه بالأعز، ويقصد النبي عليه الصلاة والسلام بالأذلّ وهذا كفر صريح.

٢ {وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ}

- تؤكد أن الله وحده هو المالك والمُتصرف في أرزاق الخلق، ردًا على قول المنافقين.
- الالتزام بطاعة الله لا يمنع الرزق، فالمؤمن مطمئن لأن رزقه مكتوب عند الله، والخوف من الفقر بسبب الطاعة سوء ظن بالله.

٣ تكذيب المنافق وبراءة زيد بن أرقم

- سمع الصحابي زيد بن أرقم بذلك فأخبر النبي ﷺ. فقال عمر رضي الله عنه: «يا رسول الله، مُرْ عباد بن بشر فليضرب عنق هذا المنافق، عبد الله بن أُبيّ».
- فقال النبي ﷺ: «فكيف إذا تحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه؟» ثم قال: «نادي يا عمر بالرحيل».
  وكان ذلك في طريق العودة من غزوة بني المصطلق.
- فأراد النبي ﷺ إيقاف الفتنة، ولم يشأ قتل عبد الله بن أُبيّ؛ لئلا يُقال إن المسلمين يقتلون بعضهم، فتكون مفسدة أعظم وهي الصد عن الإسلام.
  فنزلت سورة المنافقون، تصدق كلام زيد بن أرقم، وتكذب عبدالله بن سلول.

٥ {وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ}

- يظنون أن الدنيا معيار الرزق والنجاح والصلاح والمنهج الصحيح.
- المؤمن الصادق لا تفتنه الدنيا ولو ضاق عليه رزقه.
- لا يحمِلنك استبطاء الرزق أن تطلبه بمعصية الله.
  التاريخ يثبت ذلك: فالصحابة كانوا فقراء ثم رزقهم الله بغنى ونعيم، مع استمرار التزامهم بالدين.

(الآية 8):

{يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ}

١ {وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ}

- جهلهم الحقيقي وزعمهم أنهم الأعزاء، اغترارًا بما هم عليه من الباطل، فبين الله أن العزة لله يعطيها لمن يشاء وأنه لن ينالها إلا المؤمن.
- النفاق يضر صاحبه قبل أن يضر الآخرين، لأنه يسبب له تشويشًا في الإدراك والتقدير، يضلل صاحبه ويبعده عن الحق.

٢ موقف بارز في الولاء والبراء: عبد الله بن عبد الله بن أُبيّ بن سلول

- موقف يُجسّد قوة الولاء لله ورسوله فوق كل اعتبار؛ إذ منع أباه المنافق من دخول المدينة حتى يعلم أباه من هو العزيز ومن هو الذليل، وإنه ﷺ هو العزيز وأن العزة لله ورسوله، وحتى يأذن النبي ﷺ، فأذن له فدخل المدينة.
- كما بلغ من صدق إيمانه أنه عرض واستعد لقتل أبيه بنفسه إن أمر النبي ﷺ بذلك وأن يأتيه برأسه، مقدمًا العقيدة على رابطة النسب.

تدبر سورة المنافقون

المحاضرة:11

(الآية 9):

{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ}

١ ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ﴾

- الإلهاء هو الشغل المذموم، أي الانشغال الذي يضر الإنسان.
- وجاء الأمر بعدم الانشغال بالمال والولد، والنهي عن الانشغال المذموم ونسيان ذكر الله، ومخبرًا بأن من التهى بمَتاع الحياة الدُّنيا وزينتها عن طاعة ربه وذكره، فإنه مِن الخاسِرين أنفسهم وأهليهم يوم القيامة.
- الذم ليس لذات المال أو الولد، إنما للإنشغال بهما عن الله.

٢ ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾

- لأنهم خالفوا ما أمرهم به ربهم، وآثروا ما ينفعهم في عاجلتهم الفانية، "بدلاً مما ينفعهم في آجِلتهم الباقية.
- لا يشغلك المال أو الأولاد عن الله، فالكذب والغش والرشوة، والتفريط في الصلاة والصيام، والتنازل عن الدين من أجل العمل أو الأولاد والكسب الحرام، هذه علامات أن المال والأولاد ألهوك عن ذكر الله، وصاحبها خاسر في دينه، وكله داخل في النفاق العملي الذي كلما كثرت صفاته في العبد، اقترب من النفاق الاعتقادي .
- لذلك لا يأمن المؤمن على نفسه، خاصة عند الموت، وعليه أن يبتعد عن صفات المنافقين ويحذرها.

(الآية 10):

{وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ}

١ {وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم}

- التحفيز بالحث على الإنفاق، وأن المال من عطاء الله تعالى، وليس ملك لنا
- يعطيك الكثير ويطلب اليسير؛ زكاة كان أو نفقة، لتدخل به الجنة، وكلما زدت زاد أجرك.

٢ {مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ}

- التخوّيف من التسويف قبل فوات فرصة العمل الصالح، فإذا نزل الموت، لا ينفع الندم فالمؤمن يعيش بين الرجاء بالثواب والخوف من الفوات.

٣ {فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ}

- أي لأتصدق، مما يدل على شرف الصدقة وعلو قدرها وعظم شأنها عند الله؛ فهي أول ما يتمناه الإنسان عند الموت.
- قال عليه الصلاة والسلام: "يا معشر النساء تصدقن، وأكثرن من الاستغفار، فإني رأيتكن أكثر أهل النار"
- قال النبي ﷺ:" كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا"

٤ أهمية الصدقة

1- تطفئ غضب الله وتكون سبب رضاه.
2- تكون ظلًّا لصاحبها يوم القيامة.
3- النجاة من النار وتحصّن الإنسان من عذابها.
4- دليل على صدق الإيمان وإخلاص القلب لله.
5- لا تنقص المال بل تباركه وتزيده، خاصة إذا كنت تتدخر مالك في مشروع فيبارك الله لك فيه.
6- تنزع حب الدنيا من القلب، فيزهد الإنسان ويبتعد عن أسباب الذنوب.
7- الصدقة من أعظم الأسباب الشرعية لحل المشاكل، تفريج الكروب.
8- تزيل أسباب النفاق وتساعد على التحلي بالصلاح والبر.

(الآية 11):

{ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ}

١ { وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا}

- لا تأخير في الأجل متى انتهى.
قال تعالى:{حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ * لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ }
تذكير بأن اعمل صالحًا الآن ولا تؤجل الخير.

- وعندما يُقال: {يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ}
فتجنب السوء، وابتعد عن المعاصي وأصحابها، واتقِ الشبهات".

٢ التطبيقات العملية

- أكثِر الصدقات، فهي علاج للنفاق وتُبعد حب الدنيا عن قلبك.
- لا تلهك الدنيا ولا الأولاد عن الصلاة والذكر.
- أحرص على الإنفاق على العلماء والدعاة وطلبة العلم وحلقات القرآن.
- ابتعد عن المنافقين، ولا تساعدهم أو تنشر لهم.

تدبر سورة التغابن

المحاضرة:12

١ التعريف العام بالسورة

- اختلف العلماء في كون السورة مكية أو مدنية، والأشهر والله تعالى أعلم أنها مدنية.
- يقول العلماء إنها آخر المسبحات، أي آخر السور التي افتُتحت بالتسبيح، سواء بلفظ: سَبّحَ أو يسبّح أو سَبِّح.

٢ محاور سورة التغابن

1- الحرص على طاعة الله تعالى.
2- الحرص على اغتنام الأوقات.
3- الحرص على اتقاء غضب الله سبحانه وتعالى؛ حتى لا يقع الإنسان في التغابن.

٣ معنى التغابن

- التغابن مأخوذ من الغبن، وهو مصطلح يُستعمل في البيع والشراء، فيقال: في هذه البيعة غبن.
- والمقصود هو الخسارة، غالباً بسبب الخداع . فقد تكون هناك سلعة ذات قيمة كبيرة، فيُخدع الإنسان فيبيعها بثمن بخس، فيقال: حصل غبن. أو تكون السلعة رخيصة، فيُخدع فيشتريها بثمن غالٍ، فيقال: حصل له غبن، أي خُدع وخسر وتغافل.
- ولذلك يُسمى يوم القيامة يوم التغابن؛ وكثرة الخاسرين، بخسارة صفقة الدنيا التي لم تُبنَ على طاعة الله.
- حتى المؤمن الذي سيدخل الجنة سيتحسّر يوم القيامة على التقصير الذي ارتكبه والدرجات التي فاتته.

٤ أعظم نعمتين: الصحة والفراغ.

- قال عليه الصلاة والسلام: "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ"
- "الفراغ"سيف ذو حدّين: إن أُحسن استغلاله نجا الإنسان، وإن ضُيِّع صار سببًا للغَبْن.
- كثيرون يمضون أوقاتهم في الهاتف، في المقاطع القصيرة، وفي الكلام الذي لا ينفع، فيذوب عمرهم بين برامجٍ فارغة وأعمالٍ بلا قيمة.
- "الصحة" نعمة عظيمة، وكثير من الناس لا يقدّرونها إلا بعد أن تضعف طاقتهم، فيبدأون الصلاة والصيام، وهم عاجزون عن أدائها كما ينبغي.
- والأولى هو استثمار أيام الشباب وقوة الجسد في السعي إلى العبادة والخير لا تضيع صحتك ولا فراغك، فكل لحظة ضائعة تصبح سببًا للندم يوم القيامة.

(الآية 1):

{يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ}

١ {يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ}

- التسبيح هو تنزيهُ الله تعالى عن كل نقصٍ وعيب، وإثباتُ كماله المطلق في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.
- فكل ما يصدر عنه جل وعلا إنما هو عن عدلٍ وحكمة، ولا يجوز الاعتراض على أقداره أو اتهام أفعاله؛ لأنه سبحانه منزَّه عن الخطأ والظلم.
- جميع ما في السماوات والأرض يسبّح بحمد الله تعالى، فالكون كله خاضعٌ لله ومُتَّسق مع أمره.

٢ فضل التسبيح وعظيم أجره

- وقد ثبت أن:«سبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماء والأرض»
- كان عبيد بن عمير رحمه الله يقول: "تسبيحةٌ بحمد الله في صحيفة المؤمن خيرٌ له من الدنيا وما فيها."والتسبيح المقرون بالحمد أعلى وأكمل؛ فأن تقول: سبحان الله فضل عظيم، وأن تقول: سبحان الله وبحمده فهذا أعلى وأحب إلى الله. التسبيح من الباقيات الصالحات، لأن التسبيحة تبقى عند الله، وأما الدنيا فإنها تفنى.

٣ ﴿لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ﴾

- له الملك أي: الله يملك كل شيء ويحكم فيه، وملكُه التام يُستحق له العبادة وحده.
وهو دليل على التوحيد: فالمستحق للعبادة هو من يملك كل شيء.
- وله الحمد، أي: له جميع الكمالات، فيُحمد سبحانه على كماله في خلقه، وأمره، ونهيه، وأفعاله، وأقواله.
فله الكمال المطلق من كل وجه.
- اجتماع قوله: له الملك وله الحمد يدل على كمال الله المطلق؛ فالملوك قد يملكون لكن لا يُحمدون دائمًا، أما الله فملكه تام وأفعاله كاملة بالعدل والحكمة، فاجتمع له كمال الملك وكمال الأفعال والأقوال، وهو كمال فوق الكمال.

٤ ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾

- وهذا يفتح باب رجاء عظيم؛ فربك على كل شيء قدير، فتعتمد القلوب عليه وتطلب منه بثقة.

تدبر سورة التغابن

المحاضرة:12

(الآية 2):

{ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ }

١ ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ﴾

- دلالات قوله تعالى: (هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ)
1- استحقاق العبادة: فالخالق وحده هو المستحق للعبادة.
2- الدلالة على البعث: الخلق الأول يبين قدرة الله على إعادة الخلق، وإليه المصير.
3- دليل على القدرة الإلهية: أن الله قادر على كل شيء.
- القول الأول: من منظور علم الله السابق
أي أن الله سبحانه وتعالى كان يعلم مسبقًا من سيكون مؤمنًا ومن سيكون كافرًا، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ.
- القول الثاني: من منظور أفعال العباد وإرادتهم
الإنسان يختار بإرادته الحرة بين الإيمان والكفر؛ بين طريق الخير وطريق الضلال، وهذا يدل أن العباد مسؤولون عن أفعالهم، وأن وقوع القدر مرتبط بإرادتهم دون إجبار.
- والقولان متكاملان: فالله يعلم المقادير ويكتبها، والعباد يعملون باختيارهم، ولا تناقض بين علم الله السابق واختيار العباد.

٢ أركان القدر

- 1- علم الله السابق بما سيعمل الخلق.
- 2- كتابة الله للمقادير في اللوح المحفوظ.
- 3-خلق الله لأفعال العباد؛ أي أن العباد يملكون الإرادة، والله خلقها.
- 4-مشيئة الله النافذة؛ فلا يكون في ملكه إلا ما يشاء.

٣ توضيح مسألة الجبر

- بيان العقيدة الجبرية: هي الاعتقاد بأن الله أجبر العباد على أفعالهم، وأن معاصي العباد وطاعاتهم من الله سبحانه بلا اختيار منهم، وأنه لا يملك من الأمر شيئاً. وهذه النظرية تعتمد على النظرة من زاوية علم الله السابق فقط؛ وهذا يوهم بوجود ظلم أو عبث من الله، حاشاه تعالى.
- قال تعالى:(إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ) [الحج: ١٤]
- فالعباد غير مجبرين على أفعالهم، ولهم إرادة واختيار فأعمالهم صادرة عن اختيارهم.
- ولفهم مسألة القدر فهمًا صحيحًا، يجب الجمع بين أمرين: علم الله السابق وإرادة العباد؛ فالنظر إلى أحدهما دون الآخر يؤدي إلى الانحراف.
- فلو نظر الإنسان إلى القدر من زاوية العلم السابق فقط، وقع في وهم الجبر، ولو نظر إلى مشيئة العبد وحدها، وقع في وهم الحرية المطلقة التي تنفي سلطان الله وعلمه، كما قالت القدرية، وكلاهما خطأ.

٤ الفرق بين الخطأين

- الجبرية: يزعمون أن الإنسان مسيّر بلا إرادة، فينسبون أفعاله إلى الجبر، وهذا يتعارض مع ثبوت إرادة العبد ومع كمال ملك الله.
- القدرية: يزعمون أن الإنسان مخيّر استقلالًا، فينفون علم الله السابق وسلطانه على أفعال العباد.
- قال النبي ﷺ :«اعملوا فكل ميسر لما خلق له»يدل الحديث على أن للإنسان إرادة وقدرة يعمل بهما ويُحاسَب عليهما، وفي الوقت نفسه فإن عمله داخل في علم الله وتقديره وتيسيره، فلا جبر ولا استقلال عن مشيئة الله.
- فالإنسان ميسَّر ، يملك قدرة وإرادة حقيقيتين. وفعله لا يقع إلا باجتماع القدرة والمشيئة. أما الفعل الناتج فهو مخلوق لله، ويُنسب إلى العبد لأنه جَزَمَ إرادته ووافق بها ما شاءه الله، فاستحق الثواب أو العقاب.

٥ خطورة الاحتجاج بالقدر على المعصية

- لا يجوز استخدام القدر حجة للكسل أو المعصية، كأن يقول الإنسان: «لو شاء الله لهداني، فلماذا أعمل؟». فهذا فهم خاطئ، فالدين يعلمنا أن لنا مشيئة وقدرة على العمل، وعلينا السعي مع العلم بأن كل شيء يحدث بإرادة الله، مع تحمل مسؤولية أعمالنا.

٦ تقريب معنى القدر بمثال الرزق

- يفهم الناس القدر في مسألة الرزق: أن الفهم الصحيح للقدر يجعل الإنسان يعمل بجد، كما كان يفعل الصحابة.
- الرزق مكتوب لكل إنسان، وأنه لابد من السعي لذلك، فلا يجلس الإنسان متكلاً على القدر، بل يعمل ويجتهد ليصل إلى رزقه، سواء بالعمل أو الدراسة أو غيرها.
- الإنسان لا يعلم ما كُتب له، لذلك عليه أن يسعى ويأخذ بالأسباب، سواء في طلب الخير أو الابتعاد عن الشر.
- حتى الفقير يسعى للغنى، والمذنب يسعى للتوبة، لأننا لا نعرف ما كُتب لنا عند الله.
فلنتأمل قول الله تعالى:(فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ)[الليل: ٤-٧]
نسب الله الفعل للعبد: أعطى، واتقى، وصدق،ثم قال: فسنيسره.
- وكذلك قال:(وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ * وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ)[الليل: ٨-١٠]
تيسير اليسر وتيسير العسر مرتبطان باختيارك ، ولك كسب ودور في النتيجة.

٧ الفرق بين الجبر والاختيار

- لا يصح أن نقول إن الإنسان مجبر على كل شيء.
- هناك أمور جبرية لا يُحاسب عليها، مثل دقات القلب، جريان الدم، اللون، أو الجنسية.
لكن الإنسان يُحاسب على ما له فيه اختيار، مثل الصلاة أو الشتم، لأنه يملك القدرة على الاختيار.

تدبر سورة التغابن

المحاضرة:12

(الآية 3):

{خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ }

١ {خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ}

- الآية دليل على البعث، وخلق السماوات والأرض أعظم من خلق الناس.
- قال تعالى:(لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ)
فمن قدر على الأعظم، فهو على الأصغر أقدر.

٢ ﴿وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾

- أي خلقكم، جعلكم في أجمل صورة وأحسن تقويم، فالإنسان هو أحسن المخلوقات صورةً وأبهاها منظراً.

(الآية 4):

﴿يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾

١ ﴿وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾

- الله عليم بما تضمره الصدور وما تخفيه النفوس. فحسِّن سريرتك، وجمِّل باطنك،ولا تنشغل بالظاهر فقط.
- قال النبي ﷺ:«إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسادكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»

٢ مناهج الدعوة وتنويع أساليب الإقناع

- وبعد عرض الآيات السابقة "الحجج العقلية"في الدعوة إلى الله، كإثبات البعث والتوحيد والقدر، ينوّع الله أساليب البيان، فيصرّف الآيات ويعرضها بطرق متنوعة لتصل إلى عقول الناس وقلوبهم.

(الآية 5):

{أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ}

من طرق الإقناع التي يستخدمها الله تعالى مخاطبة الناس بقصص الأمم السابقة، التي مرّت بنفس أحوالهم، وبيان نهايتهم. الاعتبار بمصائر السابقين أسلوب دعوي مؤثر، يكشف سوء عاقبة المعصية وحسن عاقبة الطاعة، فالهلاك سببه تكذيب الحق.

(الآية 6):

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْۖ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ﴾

١ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾

- بين الله عز وجل الرد على الآية السابقة، فالقصة واحدة؛ قالوا كما قال من قبلهم :(أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا) تناقض الباطل وعدم ثباته
- هذه الجملة خطيرة؛ لأنها تدل على أن الباطل متناقض دائمًا.
- فالقاعدة: كلما تعاملت مع الباطل، ستجده مضطربًا، متناقضًا، لا يثبت على قاعدة، لأنه بلا أصول.
أما الحق فقواعده ثابتة.

٢ {أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا}

- اعتراضهم على بشرية النبي ﷺ متناقض؛ فإن كانوا يعترضون على كونه بشرًا فهم لا يرفضون مضمون الرسالة، بل حاملها، والعبرة بالرسالة لا بالرسول.
- بل إنهم تناقضوا أكثر، فوصفوه بالكذب والسحر والجنون، ثم اشترطوا أن يكون الرسول بشرًا عظيمًا في نظرهم، كما قال تعالى:(وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٖ)[الزخرف: ٣١]

٣ حكمة إرسال الرسل من البشر

- أنهم أقرب للفهم والاقتداء، فلو أُرسل ملك لاعترضوا بعدم القدرة على اتباعه، لأنه لا يشاركهم صفاتهم البشرية (وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ)[الأنعام: ٩]

٤ ﴿فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْۚ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ﴾

- الله غني حميد، عبادتنا لا تزيده ولا كفرنا ينقصه. ملكه ثابت مهما كانت قلوب الناس.

تدبر سورة التغابن

المحاضرة:12

(الآية 7):

﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾

١ ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْ﴾

- زعم: تدل على قول بلا دليل، فكان إنكارهم للبعث دون دليل.

٢ ﴿قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ﴾

- فأقسم الله بنفسه على البعث، والقسم له أثر يقع في النفوس.
- أقسم الله على البعث ثلاث مرات في القرآن:
- 1- في سورة يونس،قال تعالى: (وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ)[يونس: ٥٣]
- 2-في سورة سبأ، قال تعالى:(وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ)[سبأ: ٣]
- 3- في سورة التغابن، قال تعالى:(قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ)

٣ {ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ}

- الإنسان مبعوث ثم موقوف للحساب بين يدي الله، ومن علم ذلك يعلم مسؤوليته، ومن علم مسؤوليته فليعد جوابًا لسؤاله.

(الآية 8):

{فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ}

النور هو القرآن، ففيه نور للحياة، نور للصدر، نور للقلب. قال النبي ﷺ:«اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري».فلا بد من الفهم، والتدبر، والعمل.

(الآية 9):

{ يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ}

١ { يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِ}

- سُمّي يوم الجمع؛ لأن الله يجمع فيه الأولين والآخرين،
- وقيل: لأنه يجمع الإنسان مع عمله،
- وقيل: لأنه يجمع الظالم والمظلوم.
- وهو يوم التغابن؛ لأن أكثر الناس خسروا، وباعوا الآخرة بالدنيا.
- وسمّاه الله يوم الحسرة، قال تعالى: (وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ) [مريم: ٣٩]
- كل الناس يتحسرون يوم القيامة؛ الكافر على كفره، والمؤمن على الوقت الذي ضيّعه في أمور لا تنفع.

٢ من صور التغابن في الدنيا

- الأكل الكثير، النوم الزائد، إضاعة أوقات الفراغ في الملهيات، وسائل الإعلام، الترندات، أو ترك استغلال الأعمال الصالحة؛ وإضاعة الوقت والفرص دون زيادة في الإيمان.

٣ النتيجة قبل دخول الجنة

- يُحاسب الإنسان على الوقت والجهد الضائعين:أما غبن الكافر فبترك الإيمان، وأما غبن المؤمن فبالتقصير في الإحسان.
- أعلى صور الغبن للكافر: رؤية مقعده في الجنة وما كان يمكن أن يناله لو أطاع الله، فيزداد حسرة وغمًا. أعلى صور الغبن للمؤمن:التقصير؛ حين يرى مافاته من درجات وإن كان بإمكانه زيادة الحسنات فيندم.

٤ الصفقة بين الله والإنسان

- منح الله الإنسان الحياة، الصحة، العمر، المال، النفس، القدرة، والإرادة.
- من استثمر هذه النعم في الطاعة فاز بالجنة.

٥ {ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ}

- من يؤمن بالله ويعمل صالحًا تكفّر سيئاته، ويدخله الله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها، وهذا هو الفوز العظيم.

تدبر سورة التغابن

المحاضرة:13

(الآية 11):

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾

١ الإيمان بالقدر ومعنى المصيبة

- هذه الآيات تدل على الإيمان بالقدر، وهو أصلٌ عظيم من أصول العقيدة،
فالله سبحانه وتعالى علم وكتب ما كان وما سيكون، ولا يقع في ملكه إلا ما يريد، وهو خالق أفعال العباد، وقد خلق الله للإنسان قدرة وإرادة، وباجتماعهما يقع الفعل، فيكون مخلوقًا لله ومكسوبًا للعبد، فيُحاسَب عليه.
- وهناك مصائب تقع خارج اختيار الإنسان، كالموت والمرض والحوادث، وكلها تقع بإذن الله.

٢ ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾

- ربط سبحانه وتعالى بين الإيمان الصحيح بالقدر وبين هداية القلب.

٣ البرهان بأن المقادير مكتوبة

- قال النبي ﷺ:« واعْلَمْ أن ما أصابك لم يَكُنْ ليُخْطِئَكَ وما أخطأك لم يَكُنْ ليُصيبَكَ».
- ومن تمام الإيمان أنه لا يصح الاعتراض بعد وقوع الأحداث قال النبي ﷺ:«فإن أصابك أمرٌ فقل : قدر اللهُ وما شاء فعل، ولا تقلْ لو أني فعلت كذا لكان كذا، فإن لو تفتحُ عملَ الشيطانِ»
- قال تعالى: (مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ * لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ)[سُورَةُ الحَدِيدِ: ٢٢-٢٣]
- الحزن عند المصيبة أمر فطري لا ينافي الإيمان بالقدر، فقد حزن النبي صلى الله عليه وسلم وبكى عند وفاة ابنه إبراهيم وأصحابه.

٤ الإيمان بالقدر يهوّن المصيبة

- الإيمان بأن ما وقع قدرٌ مكتوب عند الله يخفف وقع المصائب على الإنسان.
- قال بعض السلف: ينبغي للمؤمن عند المصيبة أن يحمد الله على أربعة أمور:
1- أنها قد مرّت فلا محالة فيها.
2- أنها لم تكن أعظم من ذلك.
3- أنها لم تكن في الدين.
4- أن الله رزقك الصبر عليها وأعطاك أجرها.
- قال النبي ﷺ:«اللهمَّ لا تجعلْ مُصيبتَنا في دِينِنا, ولا تجعلِ الدُّنيا أكبرَ همِّنا»
- المصيبة الحقيقية هي ما يصيب الدين
يُستحب أن يدعو المؤمن بأن يعوّضه الله خيرًا في الدنيا، فإن المصيبة قد تكون فرصة زيادة الثواب.

٥ دور الإيمان بالقدر في مواجهة المصائب

- 1- الإيمان بالقدر يمنح المؤمن السكينة والطمأنينة عند وقوع المصائب ويحميه من الاكتئاب .
- 2- الربط بين المصائب والتغابن: فقوة الإيمان تحدد تأثير المصيبة على الإنسان؛ فتكون للمؤمن القوي فرصة للصبر وكسب الأجر وتكفير السيئات، ورفع الدرجات، وتهذيب النفس. أما الضعيف فتنال منه وتثقل قلبه.
- 3- المؤمن يتفكر: هل المصيبة عقوبة أم ابتلاء، أو تكفير للذنوب؟ وكان السلف عند المصيبة يراجعون أنفسهم.
- 4- كل خير وشر يصيب المؤمن نافع إذا كان مطيعًا لله.

٦ تفسير ابن كثير رحمه الله لمعنى الصبر والرضا

- ذكر في كتابه "المصباح المنير"
قال ابن كثير:"ومن أصابته مصيبة فعلم أنها بقضاء الله وقدره، فصبر واحتسب، واستسلم لقضاء الله، هدى الله قلبه، وعوضه عما فاته من الدنيا هُدىً في قلبه، ويقينا صادقا، وقد يخلف عليه ما كان أخذ منه، أو خيرا منه"
- يهدي قلبه: إذا صبر واحتسب
ورضي بالله: عوّضه الله عما فاته من الدنيا.
- قد يخلف عليه ما كان أخذ منه أو خيرًا منه: يعوضك بالهدى واليقين في القلب، وذلك أفضل من الدنيا التي فُقدت.
- وقد يعوضك بالدنيا نفسها أو بما هو خير منها.
قال تعالى:(إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ)[الأنفال: ٧٠]
- الإيمان بالقدر يوازن مشاعر الإنسان بين الرضا وعدم التعلق أو المبالغة في الفرح.
- ينبغي أن يكون الفرح بالنعمة مقرونًا بشكر الله والرضا عنه، حتى لا يقود إلى العجب والكبر، مع استحضار أن كل فضل إنما هو من الله وحده، وأنه مقدَّر ومكتوب في اللوح المحفوظ.

تدبر سورة التغابن

المحاضرة:13

(الآية 12)

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾

١ ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾

- قد تكون المصائب ابتلاءً من الله لا عقوبة، والمؤمن المواظب على طاعة الله ورسوله ينعم بالطمأنينة، ويُحسن الظن بربه، موقنًا أن كل ما يصيبه خيرٌ له.
- قال النبي ﷺ: "عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له"
- كان النبي ﷺ يقول في دعائه: "رب أعني ولا تعن علي، وانصرني ولا تنصر علي، وامكر لي ولا تمكر علي".

تتنوع الحكمة من المصيبة بين رحمة وابتلاء وعقوبة واستدراج، ويبقى الميزان الفاصل هو حال القلب مع الله. فكلما قوي الإيمان، عظم أثر السكينة وهدأت النفس.

٢ ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾

- من أعرض عن الطاعة ضر نفسه، لا يضر الله ولا رسوله ولا الدعاة، والخسارة تقع عليه وحده.
- من صور التغابن:أن تدفع المصيبة البعض إلى البعد عن الله، فيترك الصلاة، أو المسجد، أو تترك المرأة حجابها، فيكون رد الفعل على المصيبة سببًا لمصيبة أعظم؛ والإنسان لا يضر بذلك إلا نفسه، لذا فالحكمة في التعامل مع المصائب ضرورة لتجنب الخسارة المضاعفة.

(الآية 13)

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾

١ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾

- الله وحده المستحق للعبادة، وفهم صفاته يعين المؤمن على التوكل عليه، حتى في المصائب.
- الثقة بالله تجعل المؤمن يرى الخير في كل أحداث الحياة، حتى لو لم تُدرك حكمة ذلك فورًا.

٢ التوكل في حياة الأنبياء

- كان سيدنا يعقوب عليه السلام مثالًا حيًا في التوكل وحسن الظن بالله، رغم المصائب التي تعرض لها قال تعالى على لسان يعقوب: (وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ)[يوسف: ٦٧]

فحفظ الله سبحانه وتعالى له أولاده يوسف وإخوته، وحققت مصيبته في النهاية خيرًا له ولأسرته.

وقال تعالى: (فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)[يوسف: ٩٦]

- قال الله تعالى في الحديث القدسي: "أنا عند ظن عبدي بي"
- التوكل الحقيقي والاعتماد على الله أساس تحقيق الطمأنينة في الحياة، وأن كل ما يفعله الإنسان من أسباب يجب أن يكون مقرونًا بالثقة في الله.

يتضح من الآيات الكريمة:التوازن بين الأخذ بالأسباب والتوكل؛ فالمؤمن يأخذ بالأسباب ويبذل جهده، ولا يعتمد عليها وحدها، بل يتوكل على الله.

- الكمال في التوكل يتحقق بجمع السعي والعمل الصالح مع الثقة بالله، أما التقصير في العمل بالأسباب هو خلل في التوكل.

(الآية 14)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

١ ﴿عَدُوًّا لَّكُمْ﴾

- يحذر الله من أن بعض الزوجات والأولاد قد يكونون سببًا في خسارة الإنسان، ليس عداءً، بل لشدة الحب.
- فبسبب العاطفة قد يطيع الإنسان ما يؤدي إلى معصية أو تقصير في الطاعة، فيضر نفسه ويخسر يوم القيامة.
- فالعمل الذي صدر منهم دون قصد هو عين ما كان العدو سيفعله، فالنتيجة واحدة رغم أن النية كانت المحبة.
- قال النبي ﷺ:"لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين"
- الدنيا صراع بين المحبوبات، وعند التعارض يجب أن يقدّم المؤمن حب الله ورسوله على كل محبوب، حتى لو خسر بعض متاع الدنيا، فلا يطيع أهله في معصية رحمة وحماية لهم.

تدبر سورة التغابن

المحاضرة:13

٢ سبب نزول الآية

- نزلت الآية في مجموعة من المهاجرين وقيل إنها نزلت في عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه، حين أراد الهجرة من مكة إلى المدينة بعد هجرة النبي ﷺ ترددت زوجته في الهجرة فأقنعته بالبقاء معها فترة في مكة، فاستجاب لها.
- فلما وصل إلى المدينة وجد أن الصحابة سبقوه في التعلم من النبي ﷺ، فغضب واشتد عليه شعوره بالرغبة في معاقبة زوجته.
- فأنزل الله تعالى الآية لتوجيهه إلى العفو والصفح والمغفرة.

٤ القوامة والحكمة في إدارة الأسرة

- القوامة تعني صفات القائد؛ أي القدرة على التصرف بحكمة وإدارة من تحت قيادته، وفي بعض الأحيان يكون العفو والصفح والمغفرة هو الحل الأمثل.
- ليس من الحكمة العقاب الشديد في كل موقف، بل العفو مع التوجيه والحكمة يضمن استمرار العلاقة.

٦ ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

- المكافأة عظيمة: من يعفو ويصفح ويغفر، له المغفرة والرحمة يوم القيامة.
- كما تحب أن يعاملك الله يوم القيامة: لا يعاقبك، ولا يوبخك، ولا يفضحك، فابدأ بنفسك مع الآخرين: أعفُ، وأصفح، واغفر لمن أساء إليك.
- قال النبي ﷺ: "الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحَموا مَن في الأرضِ، يرحَمْكم مَن في السَّماءِ".

- قال النبي ﷺ:"كان رجل من أمثالكم، لم يكن له خير كثير، ولكنه كان يقرض الناس قرضًا حسنًا ويبعث عامله عند السداد، ويقول: من وجدته موسرًا فخذ منه، ومن وجدته معسرًا فتجاوز عنه، لعل الله أن يتجاوز عني غدًا" فلقي الله فقال له: "له نحن أحق بذلك منك"، فتجاوز عنه وأدخله الجنة.
- التسامح والعفو عن الآخرين قد يكون سببًا لتجاوز الله عنا يوم القيامة.
- من باب أولى أن يبدأ الإنسان التسامح مع الأقرب: الزوجة والأولاد، فالأخلاق الحقيقية تظهر في المنزل، وليس أمام الناس، فالعصبية والشتم مرفوض داخل الأسرة.
- قال ﷺ:"خيركم خيركم لأهله"

- قال النبي ﷺ: "الولد مجبنة، مبخلة، مجهلة"
المجبنة: أي أن الولد قد يجعلك تخاف على نفسك ولا تذهب للجهاد في سبيل الله خوفًا من مصيره بعدك، حتى لو كان رضيعًا لم يطلب منك شيئًا.
- المبخلة: تجعل الإنسان يبخل في الصدقة، وقد يمتنع عن أداء الواجبات أو المستحبات، ويضع المال أولًا لأولاده على حساب ما يجب إخراجه.
- المجهلة: تجعل الإنسان يقصر في طلب العلم أو حفظ القرآن أو حضور مجالس العلم.
- فالولد فتنة واختبار ينجح فيه الإنسان أو يفشل.

٣ ﴿ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

- فمع عدم الاستجابة للمعصية، أمر الله بالتجاوز والعفو والصفح، لأن ما يصدر من الأهل غالبًا يكون بدافع الحب أو سوء التقدير.
- وهذا يبيّن أن العفو من ملامح القوامة وليست القسوة والتسلط بل رحمة وحكمة وعفو يقود الأسرة إلى طاعة الله.

٥ الفرق بين العفو والصفح والمغفرة

- 1-العفو: هو عدم العقوبة، أي مسامحة الشخص وعدم عقابه.
- 2-الصفح: هو عدم اللوم و العتاب.
فقد تُسامح شخصًا على أذى وقع منه، لكن تظل تلومه، وهذا غير صحيح. الصفح يعني أن تتجاوز عن العقوبة ولا تلومه على ما فعل.
- 3- المغفرة: الستر الكامل وعدم إعادة ذكر الخطأ، سواء لك أو للآخرين.
فلا تُعيد الحديث عن الخطأ، ولا تُثيره أمام أحد، بل تغطيه تمامًا وتستره، وهذا من المروءة.

- الرفق أفضل من العنف، قال ﷺ:"إنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفقَ، وَيُعْطِي على الرِّفقِ ما لا يُعطي عَلى العُنفِ"

(الآية 16)

﴿فَاتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾

١ ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾

- يتقون الله بقدر طاقتهم، وبذل الجهد والمستطاع في الامتثال، فالفعل متعلق بالاستطاعة.

- ضوابط لكي ينجح الإنسان في اختبار الفتنة مع الأولاد والأموال:
الالتزم بشرع الله في اكتساب المال والإنفاق، وتجنب الحرام.
الإنفاق في سبيل الله.
الحرص على أداء الواجبات المستطاعة، مع بذل الجهد في المستحبات.
قال النبي ﷺ: "ما أمرتكم به من أمر فأتوا منه ما استطعتم، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه"

تدبر سورة التغابن

المحاضرة:13

٢ ﴿وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾

- الإنفاق يعوض التقصير.
- قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: "فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر".
- قال النبي ﷺ «والصدقة تطفئ غضب الرب» كما جاء في الحديث أيضًا من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله:«رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه»
- قال ﷺ للنساء: «يا معشر النساء تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار»
- الصدقة تحمي الإنسان من الوقوع في النار بسبب التقصير، وتكفر الذنوب وتطهر النفس.
- الصدقة تطهر القلب من حب الدنيا
- الصدقة أفضل استثمار للمال، بالاستفادة من مالك في طاعة الله فتجنبك التغابن يوم القيامة.
- الصدقة تنزع البخل والشح من القلب، وتحمي من حب الدنيا وأمراضها الروحية، وتمنع الإنسان من المعاصي كالغش والسرقة والظلم.

٣ ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾

- فالإنسان الذي يوق شح نفسه ويبتعد عن البخل هو المفلح،
- **الشح أعظم من البخل:**
البخل: هو الامتناع عن العطاء مما في يدك.
الشح: هو الامتناع عن العطاء مما في يدك مع الطمع فيما في أيدي الآخرين.
الشح يؤدي إلى قطع الرحم، وعقوق الوالدين، والسرقة، والغش، والرشوة.
- علاج الشح هو الصدقة التي تضعف هذا المرض تدريجيًا، وتحرر العبد من التعلق بالدنيا، فتزهد النفس في الدنيا، ولا تقع في المعاصي.

(الآية 17)

﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾

١ ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾

- الصدقة تشبه القرض الحسن، فتعود للمتصدق وقد ضاعف الله أجرها، وغفر بها الذنوب.
- قال النبي ﷺ:«ما من مسلم مؤمن يتصدق بصدقة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا طيبًا، إلا أخذها الله بيمينه فنماها له وربّاها له كما يربي أحدكم فلوه، حتى تصير مثل الجبل يوم القيامة»
- الفلوة: الحصان الصغير.

٢ ﴿شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾

- **شكور:** يعطي الكثير على العمل القليل.
- **حليم:** يؤخر العقوبة عند الخطأ.

(الآية 18)

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾

١ ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾

- عالم الغيب والشهادة: يعلم كل ما كان وما سيكون وما لم يظهر بعد.
- **العزيز:** الذي لا يُغلب ولا يُغالَب.
- **الحكيم:** في كل شرعه، وكل أمره، وفيما قضى لعباده، وما أوقعه عليهم من الأقدار،
- حتى المصائب له حكمة فيها سبحانه وتعالى.

تدبر سورة الطلاق

المحاضرة:14

١ معلومات عن السورة

- سورة الطلاق مدنيةٌ بالإجماع.
- من أكثر سور الجزء أثرًا في القلب؛ فهي لا تقتصر على أحكام الطلاق، بل تحمل معاني تربوية وإيمانية عميقة.

(الآية 1)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴾

١ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾

- هذا النداء يوضح مقام النبي ﷺ ورفعة شأنه عند الله، فهو لا يُخاطب إلا بلقب النبوة أو الرسالة، فبدأ الله بالنداء احترامًا لمقامه ﷺ، فلم يُنادى "يا محمد"، بينما نودي الأنبياء بأسمائهم مباشرةً.

٣ بيان سبب خطاب النبي في حكم الطلاق

- يقول العلماء: الأمر للنبي ﷺ ويكون تبعًا لعامة المؤمنين، إلا إذا دل دليل على أنه خاص بالنبي فقط، كما في سورة الأحزاب:(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَٰتِ عَمِّكَ وَبَنَٰتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَٰتِ خَالِكَ وَبَنَٰتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا)[الأحزاب: ٥٠]
- أي أن بعض الأحكام خاصة بالنبي، كأن يتزوج بأكثر من أربعة، أو الزواج بدون ولي أو مهر، بمجرد موافقة المرأة نفسها، وهي خصوصية له دون أمته.
- فإن كلّ أمرٍ يُؤمر به النبي ﷺ يشمل المؤمنين، ما لم يثبت دليلُ الخصوصية.

٥ ﴿ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾

- أي: طلقوهن وهن مستقبلات العدة، في وقت تبدأ فيه حساب عدتها مباشرة.
- قال تعالى:(وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)[البقرة : ٢٢٨]
- أي: ثلاث حيضات، وعدة المطلقة تُحسب بالحيضات على الراجح من أقوال أهل العلم.

٢ محاور السورة

تدور السورة حول ما يلي:

- 1- أحكام الطلاق وما يترتب عليه من أمور.
- 2- ثمرة الالتزام بأحكام الله، وعاقبةُ من استقام والتزم بها؛ إذ وعده الله أن يجعل له مخرجًا.
- 3- أحكام العِدَّة: كيفيتها، وبيان كيفية احتسابها، وحكم المرأة التي لا تحيض؛ كالكبيرة في السن أو الصغيرة التي لم تبلغ بعد.
- 4- أحكام السكنى للمرأة، وأحكام النفقة على الحامل، والنفقة على المرضعة.
- 5- ضرورة طاعة الله ورسوله، والتحذير من مخالفة أمر الله، وبيان الجزاء لمن يلتزم بالصالحات، وبيان المِنّة بإرسال النبي ﷺ.
- 6- ذكر حسن عاقبة المؤمنين، وأن الفوز بالجنة أعظمُ رزق.

٢ وصية النبي ﷺ بالنساء

- كان النبي ﷺ يوصي بالنساء قبل موته: "اتقوا الله في النساء"
- وكان يوصي بما ملكت أيمانكم، ويقول: "إني أُحرج عليكم حق الضعيفين: اليتيم والمرأة"

٤ كثرة الأمر بالتقوى في السورة

- ذُكر الأمر بالتقوى في سورة الطلاق أربع مرات في الصفحة الأولى:
(وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ)
(وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا)
(وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا)
(وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا)
- وسبب التكرار لأن الحديث عن الطلاق، وهو موطن اختبار حقيقي فليس كل أحد يتقي الله فيه، فكثير من الناس يلتزمون بالأحكام الشرعية والسنن عند الزواج؛ لأنه وقت فرح وموافقة للهوى.
- أما في الطلاق فإنه يخالف الهوى فيثقل على النفس، وهنا تظهر التقوى الحقيقية، وقد يشق على الرجل أداء الحقوق كاملة، وكذلك المرأة قد تميل للانتقام.
- ويأتي التأكيد دلالة على أن هذه الأحكام لا يلتزم بها إلا أهل التقوى، فالطلاق يكشف معادن الناس، ويظهر حقيقة علاقتهم بالله

تدبر سورة الطلاق

المحاضرة:14

٦ أحكام الطلاق

- أولًا: الطلاق المشروع؛ أن يطلّق الرجل زوجته في طُهرٍ لم يجامعها فيه أو وهي حاملٌ قد استبان حملها، وهذا هو
- المقصود بقوله تعالى:(فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ)
أي: في الوقت الذي تستقبل فيه المرأة عدتها مباشرة.
فإذا طلقها في طهرٍ لم يجامعها فيه، بدأت العدة من أول حيضةٍ بعد الطلاق، دون إطالة أو ضرر، فإذا انتهت الحيضات الثلاث انفصلت عنه.
- ثانيًا: الطلاق المحرّم (البدعي) وهو نوعان:
1- الطلاق في الحيض.
2- الطلاق في طُهر جامعها فيه، لأن فيه إطالة للعدة وحتى لا تقع المرأة في إشكال حول عدتها.
- الحالات التي يجوز فيها الطلاق في أي وقت
المرأة غير المدخول بها.
المرأة التي لا تحيض، مثل الصغيرة أو الآيسة من المحيض.
- هذه الأحكام خاصة بالطلقة الأولى والثانية فقط.
- أما الطلقة الثالثة، فإذا وقعت في حيضٍ أو طهرٍ بانت المرأة بينونةً كبرى، وتصبح محرمة عليه، لا تحل له حتى تنكح زوجًا غيره.

٧ أقوال العلماء في الطلاق البدعي

- اتفق العلماء على حرمة الطلاق البدعي (في حيض/نفاس/طهر جامعها فيه) وإثم فاعله.
اختلف العلماء في وقوع الطلاق في الحيض على قولين:
- القول الأول لا يقع لأنه بدعة محرمة، ورد في الشرع استنادًا لحديث النبي ﷺ: "مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رَدّ"
فالطلاق مردود لايقع.
- القول الثاني: يقع مع الإثم، وهو الأقوى استنادًا لحديث عبد الله بن عمر رضي عنه.
عن ابن عمر أنه طلق زوجته وهي حائض فسأل عمر النبي ﷺ فقال :"مره فليراجعها، ثم ليتركها حتى تطهر، ثم تحيض، ثم تطهر، ثم إن شاء أمسك بعد، وإن شاء طلق قبل أن يمس، فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء."

٨ الحكمة من تحريم الطلاق في الحيض

- لأن: الحيضة التي وقع فيها الطلاق لا تُحسب من العدة.
ثم يأتي طهرٌ، لايُحسب كذلك.
- ثم تبدأ الحيضة التالية، ومن هنا يبدأ العدّ.
- فيؤدي ذلك إلى إطالة مدة عدتها بغير حق، وفيه إضرار بها ولحماية المرأة من الضرر، منع التسرع والانفعال، إعطاء فرصة للتهدئة والمراجعة، ضبط أمر الطلاق بالتقوى والانضباط، منع اختلاط أمر الحمل إن وُجد.

٩ حكمة الشرع في تنظيم الطلاق

- الشرع يضع قيودًا على الطلاق رحمة وحماية لكلا الزوجين، ويجبر الزوج على الانتظار حتى الطهر التالي، فتكون فرصة لتصحيح الأمور، والتفكير مليًا، ليأخذ قراره بعقلانية وللحد من الطلاق الاندفاعي.

- الالتزام بالمدة وحكمة الصبر:الفترة بعد الطهر تمنح الزوج فرصة للتفكير والهدوء وإصلاح الأمور قبل وقوع الطلاق الفعلي.
- أثر الالتزام بالشرع على حالات الطلاق:
الالتزام بالضوابط الشرعية يقلل وقد يمنع كثيرًا من حالات الطلاق غير الضرورية
- الطلاق يجب أن يكون قرارًا مدروسًا وعقلانيًا بعد مراجعة النفس، واستشارة أهل الخبرة والعلم، الاستخارة، وحساب العواقب، لا اندفاعيًا أو عاطفيًا.

١٠ أهمية سؤال أهل العلم قبل الطلاق

- من قواعد استقرار البيوت أن يستشير الزوج العلماء قبل الطلاق، وليس بعده، لمعرفة الاستشارة الصحيحة والأحكام الشرعية، والعواقب والنتائج المترتبة على الطلاق، ليكون القرار مبنيًا على الشرع.
- لذلك لا يُرجع إلى من يتساهل في أحكام الشريعة، بل إلى العلماء الثقات.

١١ ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾

- أي احسبوا العدة بدقة؛ فالعدة تُحسب بالحيضات، لذلك يجب على المرأة معرفة حيضها وعلامات طهرها.
- ولا يجوز التلاعب بالعدة، فلا تدَّعِ المرأة انتهاء الحيضات قبل تمامها، ولا تكتم حملًا

١٢ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾

- أي: التزموا بتقوى الله في الطلاق.
جمع الله بين لفظ الجلالة وصفة الربوبية لتعظيم الأمر والتأكيد على معرفة خطورة المسألة واتباع أحكام الله بدقة.

١٣ ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾

- أي: في مدة العدة لها حق السكنى على الزوج ما دامت معتدة منه.

١٤ ﴿وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾

- يجب على المرأة المكوث في بيت الزوجية، يُحمل على الطلقة الأولى والثانية، فإذا انتهت العدة، افترق الزوجان.
- وقال العلماء: نُسب البيت إليهن لأنهن المنتفعات به.

تدبر سورة الطلاق

المحاضرة:14

١٥ مدة العدة

- إذا كانت المرأة حاملاً، فإن عدتها تكون إلى انتهاء الحمل.
إذا كانت لا تحيض ولا تحمل، فعدتها ثلاثة أشهر.
- جاء التعبير القرآني:(مِنۢ بُيُوتِهِنَّ) ترقيقًا لقلب الزوج، ليشعر أن طردها ليس من حقه، فهذا البيت موطنها الذي تعيش فيه وتدبر شؤونه، ولو لم يكن مِلكًا لها قانونًا.
- فلا يجوز له أن يطردها، ولا أن يأمرها بالذهاب إلى أهلها، ولا يجوز لها أن تذهب من تلقاء نفسها، ولا لأهلها أن يأخذوها.

١٦ بقاء الزوجة بصفة كاملة أثناء العدة

- تبقى المرأة في بيتها بصفة زوجة كاملة، فلها حقوق الزوجة، ولزوجها ما يثبت له من حقوق، بما في ذلك المعاشرة.
- وقد اختلف العلماء: هل الجماع يُعد رجعة أم لا؟ لكن الأصل أن المرأة ما دامت في العدة فهي زوجة.
وهذا من حكمة الشرع؛ وقد يكون سببًا للإصلاح والرجوع بدلًا من الفراق النهائي.
- ولا تخرج الزوجة إلا لحاجة معتبرة، ولو خرجت يجب عليها المبيت في بيتها.

١٧ فاعدة في المشكلات بين الزوجين

- الأصل عدم التدخل في مشكلات الزوجين إلا إذا طُلب ذلك، فما بينهما من خصوصية وتفاهم لا يدركه من هو خارج العلاقة، فقد تبدو المشكلة كبيرة للآخرين، لكنها قد تكون قابلة للحل بينهما، لما بينهما من معرفة سابقة وعفو متبادل.
- لقوله تعالى:(وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا)[النساء: ٣٥]
فإن لم يطلب أحدهما الإصلاح، فالأولى تركهما، وإن تدخلت فلتكن كلمتك طيبة موجزة، وذكّر كلًّا منهما بالفضل بينهما.

١٨ ﴿ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ﴾

- يباح لكم إخراجهن وليس لهن الامتناع إذا ارتكبن فاحشة.
- والفاحشة هي الذنب العظيم، وليس الزنا فقط، بل غيره من الذنوب الفاحشة، فيجوز إخراجها إذا ثبتت خيانة الزوجة بعلاقات محرمة، أو مراسلات فاحشة، أو إرسال صور محرمة، أو أي سلوك مشين.
- وقال بعض العلماء: إن من الفاحشة المبينة أن تكون الزوجة بذيئة أو سليطة اللسان أو تعتدي على زوجها أو أهله بالضرب.

١٩ ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾

- هذه المسألة ليست خاضعة للأهواء فحرية المؤمن تقف عند حدود الله، وليست في تجاوز الشرع.

٢٠ ﴿لَا نَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾

- أي: الرجعة، أي رجوعًا ومصالحة.
- الآية عظيمة تفتح باب الرجاء في أشد لحظات الاضطراب، حيث يختلط الخوف بالحيرة، فبعد الطلاق يكون الإنسان مشتتًا ومثقل القلب، فتطمئنه الآية أن التدبير بيد الله، وأن الفرج ممكن.
إذا رأيت الأمور بعد سعيك تسير خلاف مرادك فتعلق بهذه الآية.
- الآية الكريمة دعوة لتفويض الأمر لله والثقة في تدبيره، حيث تشفي الحزن وتدفع لترك التفكير المفرط في الهموم.
- وهذا الوعد معلّق بالتقوى، كما قال تعالى: (وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ)

٢١ تيسير الله بعد الطلاق

- فمن وقف عند حدود الله في طلاقه، جعل الله له مخرجًا من ضيقه، ويسّر له أمره، ورزقه من حيث لا يحتسب، إما برجعة مباركة أو بعوضٍ خير، وأغناه من سعته، كما في قوله تعالى:(وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا)[النساء: ١٣٠]
- ولعل الطلاق خير لك يقيك من شر أكبر، ويصرف الله عنك شرًّا لا تعلمه، فلا تشغل بالك بكيفية الفرج، وإذا لم تسر الأمور كما تشتهي.

تدبر سورة الطلاق

المحاضرة:14

(الآية 2)

﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾

قال العلماء بالإجماع: إن قوله تعالى (فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ) أي: قاربت العدة على الانتهاء، وترجيح هذا المعنى بدليل قوله تعالى بعدها:(فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ) الإمساك لا يكون إلا أثناء العدة.

١ ﴿بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ تأتي على معنيين

- إما: قاربن الانتهاء، وهو المقصود.
- أو: وصلن بالفعل إلى النهاية. وورد ذلك المعنى في قوله تعالى:(وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ) [البقرة: ٢٣١]
- المعنى هنا: وصلن إلى نهاية العدة؛ بدليل أنه يخاطب الولي بألا يمنعها من الزواج.

٢ ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾

- أي: إذا أردت إرجاعها، فليكن ذلك بنية الإكرام والإصلاح، وليس بقصد الإضرار.
فلا يجوز أن يُرجعها ليؤذيها، أو ليطيل زمن العدة، ثم يطلقها مرة أخرى تلاعبًا.
- وتكون الرجعة بكل لفظ يدل عليها، كأن يقول: راجعتك، أو رددتك، أو أرجعتك.

٣ هل الجماع يُعد رجعة؟

- عند الأحناف منهم أبو حنيفة: الجماع، بل حتى اللمس بشهوة أو المداعبة، يُعد رجعة ولو لم يتلفظ بها؛ لأن فعله يدل على إرادة الإرجاع.
- وعند الجمهور (الشافعية والمالكية، وقول عند الحنابلة): لا يُعد الجماع رجعة إلا إذا نوى به الرجعة، حتى لو لم يتلفظ.
- وهذا القول أحوط؛ فمن جامعها ناويًا بذلك إرجاعها، عُدَّت رجعة.

٤ معنى المفارقة بالمعروف

- الانفصال مع الالتزام بحقوق الزواج، مثل الشبكة والمهر، فيدفع الرجل المؤخر ويعيد للمرأة ممتلكاتها الخاصة، كما تلتزم المرأة باحترام حقوق الزوج دون إساءة أو استغلال كالشتم والضرب والإهانة، دون فضح أو إفشاء للعيوب.

- قال الله تعالى: (وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)[البقرة : ٢٣٧]
- الرجوع أو الطلاق يجب أن يكون مع مراعاة الفضل والحقوق، وإعطاء المرأة المتعة كجبر خاطر عن الألم النفسي الناتج عن الطلاق.

- المتعة في الطلاق هي مبلغ مالي أو هدية يقدمها الزوج لمطلقته، تعويضًا عن الأضرار المادية والمعنوية.
- المطلقة ليست معيبة؛ فقد يكون الطلاق نتيجة اختلاف طبائع أو عدم توافق، وليس عيبًا شخصيًا.

٥ ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾

- بوجود رجلين من المسلمين، يتصفان بالاستقامة والعدالة، وذلك لضمان الحقوق، وتوثيق التصرفات، ومنع النزاعات والإنكار، وعد الطلقات.
- والأمر في الآية يُحمل عند جمهور الفقهاء على الندب والاستحباب لتوثيق الحالة وليس للوجوب.
- شهادة الشهود على الطلاق والرجعة مطلوبة من الرجال فقط، ولا يشترط دون النساء.
- ويفضل تسجيل كل طلقة في قسيمة الزواج مع توقيع الشهود.
- مثلاً إذا طلّق الرجل زوجته ثم راجعها دون إشهاد، ثم توفي، قد يثور خلاف حول الميراث وهل ثبتت الرجعة أم لا. حتى لو لم يُشهد، فإن الطلاق والرجعة صحيحتان.
- سُئل عمران بن حسين عن الرجل يطلق المرأة ثم يرجعها ولم يُشهد على طلاقها أو رجعتها، فقال:"طلقت لغير سنة وراجعت، أشهِد على طلقها وعلى رجعتها، ولا تعد".

٦ ﴿ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾

- يمثل هذا الأمر الإلهي وجوب القيام بالحق ونصرة العدل، حتى لو كانت الشهادة ضد النفس أو الأقربين، مع الحفاظ على الأمانة والإنصاف، وليس لأجل المحاباة أو المنفعة الشخصية.

تدبر سورة الطلاق

المحاضرة:14

٧ ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾

- أي إنّ الإيمان باليوم الآخر ينعكس على السلوك؛ فالمؤمن لا يُخفي حقًا ولا يظلم أحدًا.
- قال ابن مسعود رضي الله عنه : "أكبر آية في القرآن فرجًا هي: وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا".

من اتقى الله في الطلاق وفق أمره، يفتح الله له مخرجًا، ويرزقه، وقد يمنحه زوجًا أو زوجة صالحة، أو من يكفل أولاده، ويخفف عنه ألم الفراق وكل هذه النعم مرتبطة بالتقوى.

- التقوى هي الأساس : التقوى تحتاج توكّلًا على الله، وسعيًا بالحلال، وثقة بأن الله سييسر لنا المخرج؛ فمن يصبر يفتح الله له باب رزق من حيث لا يحتسب فلا يجوز طلب الرزق بالحرام بحجة الوصول إلى الحلال لاحقًا، فاتقِ الله أولًا، ثم يأتي المخرج والرزق من عنده.
- يقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: "لو أطبقت السماء على الأرض، لجعل الله للمتقين فتحات يخرجون منها، ألا ترون قوة الله تعالى:(وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا) "

(الآية 3)

﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾

١ ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾

- يسبب له أسباب الرزق من حيث لا يشعر، ولا يعلم.

أنواع الرزق:

- فليس كل الرزق مال بل الولد الصالح، والزوج الصالح، وسكينة القلب، والبركة في الحياة.

٢ ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾

- أي أن التوكل على الله يضمن للإنسان أن الله سيكفيه وييسر له ما لم يتوقعه.
- قال أحد السلف: "إني لأعلم معصيتي في خلق دابتي وامرأتي، ولكني أستغفر الله وأتوكل عليه".

٣ ﴿فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾

- أي أن الله كافٍ له، فمن سلم أمره لله ولم يجعل أمله في الناس، فاز وربح، فالتوكل على الله هو طريق الوصول إلى الغاية، حتى عندما تضيق الأسباب من حولك.
- لم يذكر الله تعالى ثواب المتوكل تحديدًا، تعظيمًا لأجره، وجعل نفسه عز وجل كافياً للمتوكل

- قال النبي ﷺ حين دخل الغار مع أبي بكر رضي الله عنه: "ما ظنك باثنين الله ثالثهما"
- سيدنا موسى عليه السلام أمام البحر، عندها انقطعت كل الأسباب، قال الله له:(قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ)[الشعراء: ٦٢]

٤ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾

- فما أراده الله سيكون، لا يمنعه أحد، سواء كان الأمر متعلقًا بإصلاح بيت أو حدوث الطلاق أو أي مسألة أخرى.

٥ ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾

- قدر الله ثابت، فلا يجوز للإنسان أن يسعى إلى الرزق بالحرام، فما أراده الله سيكون، فالمعصية سببٌ في محق البركة.

- قد يتأخر الفرج لحكمة، كما حدث مع الأنبياء عليهم السلام:
- يوسف عليه السلام: جاءه الفرج بعد سنوات من البلاء.
- يعقوب عليه السلام: صبر صبرًا طويلًا حتى تحقق وعد الله.
- موسى عليه السلام: عاش سنوات في مدين قبل الفرج.
- وتأخر النصر على النبي ﷺ.

- الحياة تتقلب بين الفرح والحزن، ولا يدوم حال. اتقِ الله واعمل بما تستطيع اليوم، وتوكّل عليه، واترك النتائج؛ فستأتي في الوقت المناسب.

- نسأل الله أن يوفقنا للتقوى، وييسر لنا أمورنا، ويجعلنا من المتوكلين عليه حق التوكل.

تدبر سورة الطلاق

المحاضرة:15

(الآية 4)

﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾

١ أصناف المعتدة

- **أولًا:** الكبيرة التي يئست من المحيض أي بلغت سنًّا لا تحيض فيه.
  عدتها: ثلاثة أشهر هجرية.
- **ثانيًا:** الصغيرة التي لم تحض وهي التي لم تبلغ بعد.
  عدتها كذلك: ثلاثة أشهر.
- **ثالثًا:** الحامل
  عدتها: وضع الحمل.

٢ ﴿إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ﴾

تحتمل معنيين:

- 1- الشك في الحكم إن وقع في عدة هذه الأصناف، فبيانها: الكبيرة والصغيرة ثلاثة أشهر، والحامل حتى تضع حملها.
- 2- الشك في حال المرأة نفسها: كأن ترى دمًا بعد اليأس، فلا تدري أهو حيض أم استحاضة.

- أو كانت تحيض ثم انقطع عنها الحيض عند الطلاق.
- أو صغيرة نزل عليها دم ولا يُدرى أهو حيض.
- فهنا يُحسم الأمر، وتكون العدة ثلاثة أشهر، لأن الأحكام تُبنى على اليقين لا على الشك.

٣ ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ﴾

- وهذا دليل على أن من لم تحض قد تتزوج وتطلّق، فتعتد ثلاثة أشهر.

٤ مسألة زواج من لم تبلغ

- يجوز للأب عند جمهور الفقهاء أن يُجري عقد النكاح لابنته الصغيرة إذا رأى في ذلك مصلحة ظاهرة، بشرط أن يكون أمينًا ناصحا، وألا يترتب على ذلك ضرر.
- فقد عقد النبي ﷺ على عائشة بنت ست، ودخل بها بنت تسع؛ لأن الدخول مرتبط بالقدرة والتحمل، لا بمجرد العقد.

- وقد أُخذ هذا الحكم استئناسًا من قوله تعالى:(وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَ)
  بيَّنت الآية عدَّتهن بثلاثة أشهر، مما يدل على إمكانية وقوع الزواج والطلاق قبل البلوغ، مع بقاء الضوابط الشرعية المعتبرة.

٥ ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ﴾

- وفيه دليل جواز طلاق الحامل، وتكون عدتها وضع الحمل، سواء وضعت بعد يوم، أو بعد تسعة أشهر. ويجوز لها أن تتزوج بزوج آخر بعد انتهاء العدة، وإن أراد هو أن يعود إليها فلا بد من عقدٍ جديد، لأنه لا يملك رجعتها بعد انقضاء العدة.

٦ مسألة عدة الحامل إذا مات زوجها

- وقعت مسألة في عهد الصحابة:امرأة حامل مات عنها زوجها، فما عدتها؟
- قال تعالى: (وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ)[البقرة: ٢٣٤]
  عدة الوفاة أربعة أشهر وعشرة أيام.
- لكن الآية الأخرى تقول:(وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ)
- فسُئل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، فأفتى بأن تعتد بأبعد الأجلين.
- فإن كان وضع الحمل أبعد من أربعة أشهر وعشرة أيام، اعتدت به، وإن كانت الأربعة أشهر والعشرة أبعد، اعتدت بها.

- لكن خالفه جماعة من الصحابة، منهم أبو هريرة وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم، فقالوا: الحامل عدتها دائمًا وضع الحمل، في جميع الأحوال.
- ودليلهم حادثة امرأة تُدعى سبيعة بنت الحارث الأسلمية، مات زوجها، فوضعت حملها بعد وفاته بأربعين يومًا فقط، ثم تزينت للخطاب، فأنكر الناس عليها.
  فذهبت إلى النبي ﷺ وسألته، فأذن لها بالزواج بعد وضع حملها، فتزوجت رضي الله عنها.
- فهذا الحديث نصٌّ في المسألة، وعليه استقر قول جمهور الصحابة والفقهاء: أن عدة الحامل في جميع الأحوال وضع الحمل، سواء كان الطلاق أو الوفاة.

٧ ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾

- فجاء الأمر بالتقوى في سياق هذه الأحكام؛ لأن كثيرًا منها يتعلق بأمور خفية لا يطلع عليها إلا الله؛ فمسألة الحمل لا يعلمها يقينًا إلا المرأة نفسها؛ فقد تُخفي الحمل لتستعجل انتهاء العدة، أو تدَّعي عدم الحمل.

- يا من تعثرت أموره، وزاحمته الهموم، هذا هو المخرج بين يديك:(وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا)، هذا وعدٌ معلّق على شرط؛ فلا تطلب الوعد قبل أن تحقق الشرط؛ لا تقل: يارب يسِّر لي أولًا ثم أتقيك، أو لما أجد الحلال سأترك الحرام، أو إذا استقرت حياتي سألتزم بالصلاة.
- قدِّم التقوى أولًا، ثم يأتيك وعد الله بالتيسير فكلما عظمت تقواك، ازداد نصيبك من اليسر، وتكفير السيئات، ورفعة الأجر.

تدبر سورة الطلاق

المحاضرة:15

(الآية 5)

﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾

١ ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ﴾

- فما شرعه الله إنما شرعه لصلاح العباد، لا لمنفعة تعود إليه سبحانه؛ فهو الغني عن خلقه، وهم المحتاجون إلى هداه وتشريعه.

(الآية 6)

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾

١ ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾

- أي حيث سكنتم.

- **أحكام السكنى والنفقة للمطلقة:**
  - 1-المطلقة الرجعية:
    وهي من طلّقت طلقة أولى أو ثانية.
    فهذه تبقى في بيت الزوجية مدة العدة، ولا يجوز إخراجها، ولا يجوز لها الخروج إلا لحاجة معتبرة.
    وقد ذكر العلماء أنها لا تخرج حتى بإذن الزوج، لأن بقاءها في البيت ليس بإرادته، بل بأمر الله تعالى.
    ويجب على الزوج لها: السكنى، والنفقة بقدر استطاعته.
  - 2- المطلقة قبل الدخول:
    لا عدة لها أصلًا، وبالتالي لا سكنى لها ولا نفقة بعد الطلاق.
  - 3- المطلقة طلاقًا بائنًا (الطلقة الثالثة):
    إذا طلّقها الطلقة الثالثة بانت منه بينونة كبرى، وصارت أجنبية عنه، فلا تعتد في بيت الزوجية، وليس لها نفقة أو سكنى.
    - ومع ذلك، يبقى من حقها المؤخر كاملًا، وكذلك المهر كاملًا، إضافةً إلى الشبكة إن وجدت. ويُستحب أن تُعطى متعة زائدة تقديرًا للعشرة وجبرًا لخاطرها، وهذا من باب الاستحباب لا الإلزام.

٣ ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ﴾

- لا يجوز للزوج أن يستغل ما مُنح له من صلاحيات للإضرار بالمطلقة أثناء العدّة، وعليه أن يؤدي لها حقوقها كاملة، وأي تهديد أو إساءة يُعدّ مخالفةً لأمر الله؛ كأن يضيق عليها في السكن، أو يمتنع عن النفقة، أو يطيل العدة بقصد الإضرار (في الرجعية).

٢ ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾

- تحفيزٌ بليغ: فبعد وعد التيسير والرزق في الدنيا لأن النفوس جبلت على حب الدنيا، جاء الوعد الأعظم في الآخرة: تكفير السيئات وتعظيم الأجر.
- الآية تُقرر أن صلتنا بالله وتقوانا له هي مفتاح التوفيق في الدنيا والفوز في الآخرة.

٢ ﴿مِّن وُجْدِكُمْ﴾

- أي بحسب قدرته وطاقته.

٤ ﴿وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾

- الآية تتعلّق بالمطلّقة غير الرجعيّة إذا كانت حاملًا؛ إذ يجب على الزوج أن يوفّر لها السكنى والنفقة طوال مدّة الحمل، بما يليق بحالها، سواء أكان ذلك في مسكنٍ مستقل أم في منزلها.
- فإذا وضعت حملها، نُظِر في أمر الحضانة وفق أحكام الشرع؛ فإن كانت الأم هي الحاضنة، استمرّ توفير السكنى والنفقة بما يحقّق مصلحة الأبناء ويكفل رعايتهم.

٥ ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾

- للمرضعة أجرة بالمعروف، أي بما جرى به العرف من غير ظلم ولا مغالاة، وفي الآية دلالة على تقدير الشريعة للمرأة ودورها في تربية الأبناء، ووجوب احترام جهدها سواء زوجة أو مطلقة.

٦ ﴿وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾

- الأمر بالتشاور والتفاهم بالمعروف، وتنظيم شؤون الأبناء بعد الطلاق.
- الحضانة: حق للأم
- الأصل أن الأم أحق بحضانة الصغير، مع مراعاة مصالحه وتوفير الرعاية المناسبة له. إلا لو تنازلت الأم عنها.
  عند بعض الفقهاء يُخير الصغير إذا بلغ سنًّا معينة، وقيل عند السابعة، بين البقاء مع أمه أو الانتقال إلى أبيه.

٧ ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾

- أي تضايقتم واختلفتم.
- قد ترفض المرأة الإرضاع لعدم استطاعتها أو بسبب حالتها النفسية.
- نفقة الابن كلها على الأب، حتى أجرة الرضاعة.
  فإذا اختلف الزوجان في أمر الرضاعة فلا تُلزَم الأم بها، ولها أن تطلب أجرًا على إرضاع ولدها، فإن لم تُرد فليس عليها حرج. وحينئذٍ يجب على الأب أن يستأجر مرضعة ويدفع أجرها، كما قال الله تعالى: (فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ).

تدبر سورة الطلاق

المحاضرة:15

(الآية 7)

﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾

١ ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾

- يترتب على انتهاء عدة المطلقة الرجعية إذا لم يراجعها زوجها حتى انتهت عدتها، بانت منه بينونة صغرى، وانقطعت العلاقة الزوجية بينهما، فتعود إلى بيت أهلها.
- أما إذا كان بينهما أولاد في حضانتها، فيجب عليه أن يوفر لها مسكنا مناسبا للحضانة، وأن يتحمّل نفقة أولاده؛ من طعام وشراب وكسوة وتعليم وعلاج، بحسب سعته ويسره، كما دلّت الآية.
- تكون النفقة بالمعروف، على قدر السعة والضيق؛ فمن وسّع الله عليه فليوسع على أولاده، ومن ضاق حاله فلينفق بقدر استطاعته.

٣ ﴿فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ﴾

- أي بقدر ما تيسر له.

٥ ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾

- وعد الله: بعد العسر يسرا؛ إنها من أرجى آيات القرآن، ومن أجملها، لأنها جاءت عامة. قالوا: لو اجتمع عليك يأس العالم لبددته هذه الآية.
قالوا: لن يغلب عسر يسرين. فقد ذكر الله اليسر مرتين،
- وذكر العسر مرة واحدة، في قوله تعالى: (فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا)[الشرح: ٥-٦]
العُسر في الآيتين واحد؛ لأنه جاء مُعرَّفًا بـ(ال)، أما اليُسر فجاء نكرة، فدلَّ على تعدد اليسر وتكرره.
وتأمل قوله تعالى:(سَيَجْعَلُ)
فجاء بالسين الدالة على القرب والسرعة، إشارة إلى أن الفرج قريب، وأن زوال الهم أسرع مما يظن العبد.

(الآية 8)

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾

١ ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ﴾

- يضرب الله مثلًا بأممٍ وقرى عظيمة عتت عن أمره، أي تكبرت وتجاوزت حدوده، فأهلكها.
- لا تنظر إلى صِغر المعصية، ولكن انظر إلى عظمة من عصيت.

٢ ﴿فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾

- عذابًا شديدًا منكرًا بالغًا.

٢ ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾

- أي من ضيق عليه رزقه.

٤ ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ﴾

- القاعدة العظيمة: لا تكليف بغير مقدور.
هذه قاعدة أصولية: "لا تكليف بغير مقدور". فإذا خرج أمر عن طاقتك، فاعلم أنك غير مكلف به.
ومن منظور آخر قوله تعالى: (لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا)[البقرة: ٢٨٦]
- الأصل أن ما كلّف الله به، داخل في وسعك وقدرتك؛ لأنه لا يكلّف نفسًا إلا بما تطيق.

٦ أربع آيات لا يبالي معهن صاحبهن

- قال عامر بن عبد قيس: "أربع آيات من كتاب الله إذا تذكرتهن لا أبالي على ما أصبحت وعلى ما أمسيت":
1. (مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ) [فاطر: ٢]
2. (وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ)[يونس: ١٠٧]
3. (سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا)
4. (وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا) [هود: ٦].

٧ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾

- يتعاقب العسر واليسر لتُعرَف النعم، فلو دام الرخاء ما عُرفت قيمته، ولو استمرت العافية لطغى الإنسان.
- الوعد بالفرج ليس لكل أحد، بل لمن اتقى الله ولزم أمره؛ فمن صدق مع الله يسّر له أمره، وعوّضه خيرًا مما فقد.

(الآية 9)

﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾

١ ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾

- الوبال جزاء الذنب.
- العاقبة نهاية الأمر.
- إن ثقل عليك أداء الحق الواجب، فأدِّه طاعةً لله، وقل:رضيت بحكمك يا رب، وأرجو وعدك: (وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا)
فهذه هي العاقبة الحسنة. أما الظلم والتعدي فمآله الخسارة والعذاب

تدبر سورة الطلاق

المحاضرة:15

(الآية 10)

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾

١ ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾

- هذا هو الأمر الخامس بالتقوى في السورة.
  أي: يا من تعقلون كلام الله وتتدبرونه، اتقوا الله وارضوا بحكمه.
- دعوى لتقوى الله، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، تأدبًا بما أُنزل في القرآن الكريم من ذكر، والتحذير من عاقبة مخالفة أمره

٢ ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾

- اختلف العلماء في (ذِكْرًا) على ثلاثة أقوال:
  القول الأول: رسول الله ﷺ.
  القول الثاني: القرآن.
  القول الثالث: يعني شرفًا وعزًا. فالعز والشرف في الالتزام بشرع الله. كما في قوله تعالى: (لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)[الأنبياء: ١٠] هذه الأحكام التي قد تغفل عن حكمتها، فيها عز الأمة وشرفها، وعز المرأة والرجل.

(الآية 11)

﴿رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾

١ ﴿رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ﴾

- إن الذي جاءك بهذه الأحكام هو رسول الله ﷺ، الرحيم والحريص عليك، لا يريد لك إلا الخير. فالآيات مبيّنات واضحات لتدلّك على الحق وتوضح حكم الله، فلا يختلط عليك الأمر، ولتكون نعمة ورحمة لك.

٢ ﴿لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾

- لا بديل عن شرع الله؛ كل ما سواه ظلمات. من يفضل القانون الوضعي أو غيره يبتعد عن النور، وينغمس في المصائب والدماء والطلاق والفتن. فلا نرجع للظلمات.
- التحفيز الأعلى: جنات تجري من تحتها الأنهار

٣ ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾

- أي يرضى بقدر الله وحكمه وينفذ الصالحات.
  جنات وليست جنة واحدة، تجري من تحت قصورها الأنهار، ولا يخرج منها أبدًا.

٤ ﴿قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾

- ذكر أحسن الرزق لأن الطلاق لا يقتصر على الحقوق فقط، بل يشمل الإحسان والتعامل الحسن أيضًا.

(الآية 12)

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ۖ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾

١ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾

- بين الله تعالى قدرته وعظمته ليرهب الناس ويعرفوا قدر المعصية.
- السماء الدنيا التي نراها ليست سوى أدنى طبقات الكون، فهناك السماء الثانية والثالثة حتى السابعة، ثم الكرسي، ثم العرش، ثم استوى الرحمن على عرشه، وكلهم محمولون بقوة الله ولطفه. وأنت أيها الإنسان شيء يسير في ملك الله، فكم من ظلم صغير يُحاسب عليه.

٢ ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾

- الأمر الشرعي التكاليف والأحكام.
- والأمر القدري بالأرزاق والإحياء والإماتة والضر والنفع.
- الغاية من الخلق واضحة: عبادة الله وحده، وما خلق يدل على قدرته.

٣ ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾

- التقوى تقوم على العلم بأن الله يعلم كل شيء، فلا مهرب من طاعته.
- من خلال التأمل في خلق السماوات والأرض نصل إلى أن نعلم يقينًا أن الله على كل شيء قدير وأنه أحاط بكل شيء علمًا.
- فإذا أيقنّا بكمال قدرته وعلمه، علمنا أنه قادر على البعث، وأنه وحده المستحق للعبادة، فنصل إلى الغاية التي من قوله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)[الذاريات: ٥٦] فمعرفة قدرة الله وعلمه تقودنا إلى توحيده وعبادته وحده بلا شريك.

تدبر سورة التحريم

المحاضرة:16

١ تعريف بسورة التحريم

- سورة التحريم سورة مدنية بلا خلاف.

٢ موضوعات سورة التحريم

- تعرض سورة التحريم نموذجًا لنظام البيت المسلم، وتبين دور الرجل والمرأة في التربية داخل الأسرة. كما تؤكد مسؤولية المسلم عن نفسه وأهله
- 1- عتاب النبي ﷺ وخصوصية بيته.
- 2- الأمر بالتوبة: أمر الله زوجات النبي ﷺ بالتوبة من العودة إلى مثل هذا الفعل.
- 3- مسؤولية الأسرة في التربية: تأكيد مسؤولية المسلم عن تربية نفسه وأهله.
- 4- يضرب الله مثالًا بالملائكة في طاعتهم الكاملة، وذلك دعوة للالتزام بطاعة الله.
- 5- بيان عاقبة الكافرين ومصير من كفر وضل، والدعوة إلى التوبة وبيان فضلها.
- 6- تذكر السورة نماذج مختلفة من النساء.

(الآية 1):

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾

١ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾

- بيان شرف النبي ﷺ وقدره عند الله، فيناديه بصفة النبوة حتى عند العتاب.
- قد ينادي الناس غيرهم بالألقاب عند الإكرام ويتركونها عند العتاب، أما الله سبحانه فينادي النبي ﷺ بصفة النبوة والرسالة حتى في العتاب.

٢ ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾

أي أن النبي ﷺ حرّم على نفسه شيئًا بسبب غيرة الزوجات.

- ورد في ذلك روايتان:
- الرواية الأولى: حديث العسل: روى البخاري في كتاب الأيمان والنذور عن عبيد بن عمير قال: سمعت عائشة رضي الله عنها تزعم أن رسول الله ﷺ كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلًا. فتواطأت أنا وحفصة على أن أيَّتنا دخل عليها النبي ﷺ فلتقل له: إني أجد منك ريح مغافير، أكلت مغافير؟ فدخل النبي ﷺ على إحداهما فقالت له ذلك. فقال: "لا، بل شربت عسلًا عند زينب بنت جحش، ولن أعود له."
وفي رواية: "بل شربت عسلًا ولن أعود له، وقد حلفت، فلا تخبري بذلك أحدًا."
وكان الكلام مع حفصة رضي الله عنها. فنزلت الآية.
- الرواية الثانية: كانت مارية من ملك اليمين للنبي ﷺ، فحين عرفن زوجاته أنه يأتيها، وخاصة حفصة رضي الله عنها غارت، فحرّم النبي عليه الصلاة والسلام إتيان مارية وحلف على ذلك إرضاء لهن.

٣ الجمع بين الروايتين

- ذكر العلماء احتمالين في الجمع بين الروايتين:
الطريقة الأولى: اعتماد الرواية الأصح، وهي رواية عائشة مع قصة زينب والعسل، عند عامة العلماء، وقد ذكرها ابن كثير ولم يذكر الرواية غيرها.
الطريقة الثانية: احتمال أن الحدثين (العسل وملك اليمين) وقعا معًا، فارتبط سبب نزول الآية بالحدثين معًا.
- والأرجح والله أعلم أن سبب النزول هو قصة العسل مع زينب.
- مكانتهما في قلب النبي ﷺ: السيدة عائشة كانت الأحب إلى قلب النبي ﷺ، ثم تليها زينب، بدليل قولها عنها : "هي التي تساميني من زوجاته". أي تقاربني في المنزلة عنده.

٤ فضل زينب بنت جحش

- سأل النبي زينب في حادثة الإفك: يا زينب ما تعلمين عن عائشة؟ فقالت: يا رسول الله، أحمي سمعي وبصري، والله ما علمت عليها إلا خيرًا.
قالت عائشة: وهي التي كانت تساميني، فعصمها الله بالورع.
- حكمة النبي ﷺ وتغاضيه عن هفوات زوجاته بدافع الحب، وصبره على غيرتهن، مما يعكس أخلاقه العالية ورقته في معاملة أهله.

٥ ﴿تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ﴾

- كان النبي ﷺ ، رغم مكانته يسعى في إرضاء زوجاته مما يدل على كمال خلقه.

٦ مواساة الله لنبيّه وتطييب خاطره

- كان الله سبحانه يواسي نبيه ﷺ ويجبر خاطره ويؤنسه ويدافع عنه، وقد ورد ذلك في القرآن الكريم تعظيمًا لمقامه وتطييبًا لقلبه.
فعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: "يا رسول الله، ما أرى ربك إلا يسارع في هواك."
- مع عظمة مقام النبي صلى الله عليه عند الله، إلا أنه كان شديد التواضع، يصبر على غيرة زوجاته ويسعى لإرضائهن بلطف، فهنيئًا لمن اقتدى به وجعل حسن معاملة أهله وإرضاءهم من أولوياته.
- السيادة الحقيقية لا تعني التسلط بل تعني حسن الخلق والرفق بالزوجة، وإكرامها ومعاملتها بلطف والسعي لإرضائها، اقتداءً بالنبي ﷺ.
- قد يتحمل الزوج من زوجته ما لا يتحمله من غيرها، لأن العلاقة بينهما تقوم على المودة والصبر والتغافل.

تدبر سورة التحريم

المحاضرة:16

٧ من كمال خُلقه ﷺ

- كان مثالًا عظيمًا في سعة الصدر، وحسن المعاملة، والحلم والرفق. ومن ذلك:رغم ما وقع من غيرة عائشة رضي الله عنها، بقيت لها مكانة عظيمة عنده، وقد قال: "فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام"،
- وكان إذا سُئل: من أحب الناس إليك؟ قال: عائشة. وهذا يدل على عظيم حلمه ﷺ وتجاوزه عن الزلات اليسيرة، ولين جانبه، وحسن معاشرته لأهله
- وأيضًا عفوه عن حاطب بن أبي بلتعة حين همَّ بإفشاء سر النبي ﷺ كما ورد في سبب نزول سورة الممتحنة، فعفا عنه لأنه شهد بدرًا. ففي الحديث القدسي قال الله تعالى:"اعملوا ما شئتم؛ فقد غفرت لكم".
- رغم ما وقع من أمهات المؤمنين إلا أنه لا ينقص من فضلهن شيئاً.

٨ ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

- بيان لسعة مغفرة الله تعالى وتجاوزه عن ذنوب عباده.
- قدرة النبي ﷺ على تهدئة المشاعر الثائرة، واحتواء الأزمات الطارئة وعلاجها، وتفادي الأضرار المحتملة.

(الآية ٢):

﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾

١ ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾

- كان النبي ﷺ قد حلف يمينًا، فسمح الله تعالى له بالتحلل منه بإخراج الكفارة، والعودة لما يحب.

٢ عِظَم مكانة النبي ﷺ و وجوب تعظيمه

- إن مقامه ﷺ عند الله عظيم، ولذلك شرع الله للمؤمنين آدابًا خاصة في التعامل معه تعظيمًا له وحفظًا لحقه، ومن ذلك ما ورد في الآيات الكريمة:
1- قال تعالى:(إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ)
- عتاب إلهي لهما، حيث "صَغَتْ قُلُوبُكُمَا" تعني مالت قلوبكما عن الصواب، وبيّن أن الله وملائكته والمؤمنين ناصرون لنبيه.
2- حُرمة رفع الصوت عند النبيﷺ
قدر النبي ﷺ عند الله لا يعلمه إلا الله.

(الآية ٣):

﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾

أي أن النبي ﷺ أسر إلى بعض زوجاته حديثًا، وأوصاها بعدم إفشائه.

١ كيفية التعامل مع المشكلات الزوجية

- من أهم أساليب حل المشاكل بين الزوجين أن يكون الحوار هادئًا وعلى انفراد بعيدًا عن الناس.
أن يكون العتاب بين الزوجين فقط دون إشراك الآخرين
- أن يتم الحوار بأسلوب لطيف كما كان هدي النبيﷺ في تعامله مع زوجاته.
- كان النبي ﷺ مثالًا في الرقيّ واللطف حتى في العتاب، كما قال تعالى:(فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ، وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ)
فعاتب بلطف؛ بيّن بعضه وأعرض عن بعض، لم يغضب أو ينفعل.

٢ الاعتدال في العتاب والمروءة

- من آداب التعامل بين الزوجين وأي خلافات عامة عند العتاب، عدم ذكر كل التفاصيل، بل يكتفي بعرض الموضوع إجمالًا للتصحيح دون إعادة إشعال المشاعر السلبية، فالهدف هو حل المشكلة لا تعقيدها.
- وقد فعل النبي ﷺ ذلك عند عتابه لحفصة رضي الله عنها في موقف الغيرة، فاكتفى بعرض الموضوع إجمالًا دون ذكر كل التفاصيل، مروءة منه.
- قال معاوية رضي الله عنه:"ثلث العقل في الفطنة، وثلثا العقل في التغافل."
- وقال الإمام أحمد: "تسعة أعشار العافية في التغافل."
- إن التغاضي والتغافل أساس الحياة الناجحة فالحياة مليئة بزلات صغيرة يومية؛ التسامح عنها يحفظ العلاقات.

تدبر سورة التحريم

المحاضرة:16

٣ فاعرة في الحياة

- قال أبو تمام: "ليس الغبي بسيد في قومه لكن سيد قومه المتغابي"
أي أن المتغاضِي محبوب ومقدَّر.
- ليس كل التغافل محمود؛ فالتغافل ليس التجاهل، بل التركيز على الأمور الجوهرية وتجاوز الزلات البسيطة والصغائر، الحزم مطلوب عند الأمور المؤذية ولابد من الموازنة بين التسامح والحزم لمنع الكبت والانفجار النفسي.

٤ الفرق بين التغافل والكبت

- التغافل: غض الطرف بنية حسنة، مع المروءة والشهامة للحفاظ على المودة والود والحفاظ على الكرامة.
- الكبت: كتم المشاعر وتجاهلها دون حلها، مما يؤدي إلى تراكم الانفعالات وانفجارها لاحقًا.

(الآية 4):

﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٞ﴾

١ ﴿صَغَتۡ قُلُوبُكُمَا﴾

- أي زاغت ومالت.
- قال العلماء: مالَت لأنهن أحببن شيئًا يكرهه النبيﷺ
أي فارقن النبي فيما يميل إليه.
- اتباع النبي ﷺ في الميول والسلوك واجب، والانحراف عن ذلك يُسمى زاغًا وميلًا.
- إلا أن ما حدث كان ميلًا مؤقت بسبب الغيرة والحب بين الزوجين في أمور بسيطة يُسامح فيها.

٢ ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٞ﴾

- إذا ظهر خلاف أو مظلمة ضد النبي ﷺ ، فإن الله يدافع عنه، وتنزل الملائكة وجبريل وصالح المؤمنين لنصرته، ليعظم مكانته ويظهر محبتنا واتباعنا لسُنته.
- صلاحك بقدر نصرتك للنبي ﷺ ودفاعك عنه.
- ظَهِيرٌ: عونٌ له وذخيره.

(الآية 5):

﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا﴾

١ ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ﴾

- عسى: من الله واجبة، من باب بيان العزّة والقدرة، وهو يفعل ذلك، هذا يُظهر عزّة الله الملك القادر.
- عسى: لو قالها الناس تفيد الترجي، أي رجاء الله تعالى وقدرته على تبديل الأحوال.
فإذا حدث بالفعل وتفاقم الموضوع، فإن الله يأمره بأن يطلقكن.
- ويبدله الله زوجاتٍ خيرًا منكن، وقد تابت أمهات المؤمنين رضي الله عنهن.

٢ صفات المرأة الصالحة

- (مُسۡلِمَٰتٖ): أي منقادة لله، خاضعة لطاعته.
- (مُّؤۡمِنَٰتٖ): عقيدة سليمة، إيمان قوي بالله واليوم الآخر.
- (قَٰنِتَٰتٖ): المواظبات على العبادة.
- (تَٰٓئِبَٰتٖ): السريعة في التوبة إذا أخطأت.
- (عَٰبِدَٰتٖ): أي كثيرات العبادة.
العبادة تُرقق القلب وتعين المرأة على أداء دورها في الاحتواء والرعاية داخل الأسرة والمجتمع، فتجعلها أكثر صبرًا ورحمة وحسن خلق، فالعبادة تُهذب القلب وتوازن العلم، وتزيد اللطف والتواضع والرحمة.
- (سَٰٓئِحَٰتٖ): صائمات باتفاق السلف.
- (ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا): من باب التوسعة على النبي ﷺ.
الثيّب: هي التي سبق لها الزواج.
البكر: هي التي لم يسبق لها الزواج.

تدبر سورة التحريم

المحاضرة:16

٣ مواقفات عمر بن الخطاب رضي الله عنه للقرآن

- وهو الذي قال فيه رسول الله: "لقد كان فيمن كان قبلكم من الأمم محدثون، فإن يكن في أمتي أحد فعمر"
- فكان رضي الله عنه من أكثر الصحابة فهمًا للقرآن
- وقد وافق رأيه الوحي في عدة مواقف، منها: يوم أشار على النبي ﷺ لاتخاذ مقام إبراهيم مصلى فنزل قوله تعالى:(وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى).
- قوله للنبي ﷺ: "هلا أمرت نساءك بالحجاب فإنهن يدخلن عليهن البر والفاجر"، فنزلت آية الحجاب في سورة الأحزاب.
- قوله للنبي عليه الصلاة والسلام: "يارسول الله وددت لو أنزل الله أمرًا شافيًا في الخمر"، فنزل تحريمها.
- وقوله في شأن زوجات النبي ﷺ: (عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا)وهذا يدل على عمق فقهه وقوة بصيرته في فهم الدين.

(الآية 6):

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾

١ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا)

- احفظوا أنفسكم بفعل ما أمركم الله به وترك ما نهاكم عنه، واحفظوا أهليكم بما تحفظون به أنفسكم، بتأديبهم وتعليمهم، وإجبارهم على أمر الله.
- أي لا يمنع التسامح أو اللطف الإنسان من تربية أهله بالحق.
- من صور عقوق الآباء لأبنائهم إهمال تعليمهم أمور دينهم، وتركهم يعتادون المعصية دون توجيه أو تقويم، بل قد يصل الأمر إلى معاونتهم على اتباع الشهوات وتيسير أسبابها لهم.
- قال النبي ﷺ: «كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته». لن ينصلح الظل والأصل أعوج، فلا تظلم نفسك وغيرك.

٢ ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾

- الناس: البشر الذين يُرَمون فيها.
- الحجارة: قيل: إنها الأصنام. وقيل: حجارة الكبريت التي تزيد النار اشتعالًا، كما ورد عن بعض الصحابة.

٣ ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾

- أي ملائكة غلاظ وشداد على الكفار بأمر الله، لا يعصون الله ما أمرهم، مثالًا للصالحين في الطاعة التامة.
- يجب على الإنسان أن يقتدي الملائكة في الطاعة ويسترشد بسلوكهم في الطاعة ويجتنب المعصية.
- استحضار الملائكة: كما يستحيي الإنسان من فعل المعصية أمام الناس الصالحين، فعليه أن يستحيي أكثر من الملائكة الذين لا يفارقونه ويكتبون أقواله وأعماله بأمر الله. وهذا الاستحياء يدفعه إلى ترك الذنوب والحرص على الطاعة.

(الآية 7):

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

- أي أن الاعتذارات لن تُقبل يوم القيامة، وكل إنسان مسؤول عن أعماله.

تدبر سورة التحريم

المحاضرة:17

(الآية 8):

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾

١ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾

- نداء إلى المؤمنين: ارجعوا من ذنوبكم إلى طاعة الله، وإلى ما يرضيه عنكم.
- اجعل لك بعد هذه المحاضرة قراراً واضحاً: أن تتوب من ذنب، أو ترجع إلى الله.
- يدعونا الله للتوبة ويحب أن يغفر لنا، بل ويفرح بتوبة العبد، فمهما أخطأت، إذا رجعت إليه بصدق، يقبلك ويعفو عنك.

٢ معنى التوبة النصوح

- أي: توبة خالصة صافية من الشوائب.
- وأصل الكلمة من قول العرب: "نصحت العسل" – أي صفّيته من الشوائب.

٣ شروط التوبة

- 1- أن تكون التوبة خالصة لوجه الله تعالى.
- 2- الندم على ما فعل من الذنوب والمعاصي.
- 3- الإقلاع التام عن الذنب.
- 4- العزم الصادق على عدم العودة للذنب.
- 5- ردّ الحقوق لأصحابها إذا كانت هناك مظالم.
- 6- الإكثار من الأعمال الصالحة تكفيرًا للسيئات.

فإذا تحققت هذه الشروط، كانت التوبة نصوحًا؛ وأي نقص في ذلك يجعل التوبة غير كاملة.

٤ التوبة غير النصوح

- هي توبة غير خالصة لله أو غير صادقة، يشوبها نقص في النية أو العزم.
- **ومن أمثلتها:**

التوبة لأجل الناس.
ترك الذنب لعدم القدرة عليه، لا كراهية له.
ترك المعصية لأسباب دنيوية
من يترك الذنب مؤقتًا، فلو زال السبب عاد إليه.

٥ من دلائل خلل التوبة

- التلذذ بذكر المعصية أو التفاخر بها.
- الاستمرار في الذنب مع إدعاء التوبة.
- نية الرجوع للمعصية لاحقًا (توبة مؤقتة).
- عدم ردّ الحقوق لأصحابها.

٦ خاتمة النداءات للمؤمنين جاءت بالتوبة

- يُعد النداء في سورة التحريم آخر نداء لأهل الإيمان في ترتيب المصحف.
- مهما قصّرت، ومهما أذنبت، فباب التوبة لا يُغلق فاجعل خاتمتك توبة صادقة، لعلها تكون سبب نجاتك، وخاتمة أمرك.

٧ المداومة على التوبة

- قال النبي ﷺ:"إني لأتوب إلى الله في اليوم أكثر من سبعين مرة."

٨ ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾

- "عسى" في كلام البشر تفيد الرجاء، أما من الله فهي وعد محقق، ولذلك قال العلماء:
- "عسى من الله واجبة"، أي متحققة الوقوع، ووعد من الله لمن تاب أن يغفر له.
- قال ﷺ: "كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون." والله لا يملّ من المغفرة حتى يملّ العبد من التوبة.

٩ ﴿وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾

- فالله لا يكتفي بالمغفرة، بل يُكرم عباده بالجنة، التي هي أعظم من أعمالهم.

١٠ ﴿يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ﴾

- كرامة النبي والمؤمنين يوم القيامة، فقد كان من دعائه ﷺ:"اللهم لا تخزني يوم القيامة"
- وكان يبكي خوفًا على أمته، وقد وعده الله عز وجل أن يرضيه في أمته ولا يَسُوءُهُ، فالنبي عليه الصلاة والسلام يشفع لأمته يوم القيامة، وقد استجاب الله عز وجل له.
- والخزي هو خزي يوم القيامة، أي العقوبة؛ فطالما أنه لا يُخزي، فهذا يعني أنه لا يُعذبهم.

١١ التفريق بين مقام الأنبياء

- إن هذه الدعوة المباركة شبيهةٌ بدعوة إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: (وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ)
- فعندما ذكر الله سبحانه وتعالى سيدنا إبراهيم عليه السلام، كان التركيز على الدعوة نفسها.
- أما عند ذكر النبي ﷺ، فكان التركيز على استجابة الدعوة واقتران المؤمنين بالنبي ﷺ في عدم الخزي فيه تشريف وتعظيم لهم، وهذا يظهر الفرق بين مقامه ﷺ وبقية الأنبياء.

تدبر سورة التحريم

المحاضرة:17

١٢ ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ﴾

- يُعطى الإنسان يوم القيامة نورًا على قدر عمله.
- في بداية المشهد يوم القيامة، يكون المؤمنون والمنافقون معًا، لأن الله سبحانه وتعالى يمكر بالمنافقين ويجزيهم على نفاقهم، فيجعلهم مع المؤمنين، فيظنّ المنافق أنه قد نجا كما كان مستترًا في الدنيا ثم يحدث تمييز الصفوف: يتقدّم المؤمنون بنورهم ويبقى المنافقون في الظلمات ثم يُضرب بينهم بسور، ويبدأ العذاب على المنافقين. حينها عندما يرى المؤمنون أن نور المنافقين قد انطفأ، يخافون ويقولون: (يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ)
- ينبغي للمسلم أن يُكثر من هذا الدعاء: "ربنا أتمم لنا نورنا."
- الشريعة كلها نور، بل الدين كله نور.

١٣ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥٓ﴾

- الإيمان الصحيح، على منهج أهل السنة والجماعة، فكلما كانت العقيدة صحيحة:
- كان النور أعظم، ثم يزيد بقدر العمل الصالح. واحرص
- ألا تبتدع في الاعتقاد، أو في العمل، أو تقصر في الطاعات.

(الآية 9):

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾

١ جهاد الكفار

يكون بعدة أنواع:

- 1- جهاد القلب: بإنكار كفرهم والبراءة منهم.
- 2- جهاد اللسان: بدعوتهم إلى الله ونصحهم وبيان فساد معتقدهم.
- 3- جهاد الحجة: بالمناظرة والرد على الشبهات.
- 4- جهاد القلم: بالكتابة والتأليف والنصح.
- 5- جهاد اليد (عند القدرة): وهو القتال في سبيل الله.

٢ جهاد المنافقين

- هو يشبه جهاد الكفار، لكن لا يكون بالقتال (باليد)، وإنما يكون:
- 1- بالقلب: ببغض نفاقهم وعدم الرضا به.
- 2- باللسان: ببيان باطلهم والتحذير منهم.
- 3- بالنصح والتشديد: بنصحهم والإنكار عليهم عند الحاجة.
- 4- بإقامة الحدود: إذا ظهر منهم ما يستوجب ذلك شرعًا. وذلك لأن المنافق غالبًا سلاحه لسانه، فيُواجه بما يناسبه.
- فالحل: بالتضييق والرد عليهم، وعدم تمكينهم، والتحذير منهم.

(الآية 10):

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّاخِلِينَ﴾

١ ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا﴾

- القرب من الصالحين لا ينفع بدون عمل صالح.
- قال النبي ﷺ "ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه."
- خطر الاغترار بالعلاقات: فلا يكفي صلاح من حولك، بل لا بد من عملك أنت.

٢ ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾

- بإجماع العلماء؛ ليس المقصود خيانة الفراش، فلم تزنِ امرأة نبي قط.
- والخيانة هنا كانت في الدين.
- لا يبتلي الله نبيًّا بهذا، فقد تكون زوجته كافرة، لكنها لا تكون زانية.

٣ حال امرأة نوح وامرأة لوط

- كان دورهما الإعانة على المعصية ونشرها.
- امرأة نوح عليه السلام: كانت كافرة، تؤذي الدعوة بكشف المؤمنين وإبلاغ قومها عنهم.
- امرأة لوط عليه السلام: كانت راضية بفاحشة قومها، وتدلّ عليها، وتُخبرهم بقدوم الضيوف.

٤ خطورة الرضا بالمعصية

- أن من يرضى بالمعصية كمن يفعلها.
- فلا يفعل الحرام، لكنه يراه أمرًا عاديًا أو حرية شخصية.
- وقد كانت امرأة لوط كذلك: لم تفعل الفاحشة، لكنها رضيت بها، فهلكت.
- إن خيانة العقيدة هي أعظم خيانة، كما وقع لامرأتي نوح ولوط.

قال تعالى: (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ)

تدبر سورة التحريم

المحاضرة:17

٥ دروس وعبر من القصة

- 1-ينبغي للمرأة الصالحة أن تعين زوجها وتسانده على الحق.
- 2-لا يُغترّ بأمانة الكافر في المال أو المعاملات، لأنه خان أعظم أمانة، وهي أمانة الدين.
- 3- لا تتعجب من الخيانة قد يصدم الإنسان بخيانة من أحسن إليهم.
- 4- الهداية بيد الله.
- 5- الابتلاء في الأسرة قد يكون الرجل صالحًا ويُبتلى بزوجته، أو العكس.
- 6- الصبر على الابتلاء أجره عظيم
- 7- لا ينفع الإنسان صلاح غيره إن كان عمله فاسدًا.

(الآية 11):

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

١ ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ﴾

- هي آسية بنت مزاحم، التي كانت مثالًا للثبات والإيمان رغم كفر زوجها، فقد كان من أعظم الطغاة، ومع ذلك آمنت، فصارت من أفضل نساء الجنة.
- قال النبي ﷺ: "أفضل نساء الجنة: خديجة بنت خويلد، فاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران، وآسيا بنت مزاحم."
- الظروف ليست مبررًا وعذرًا فلا يُعذر الإنسان بفساد البيئة فالحق يُتبع في كل حال.
- وكان يوسف عليه السلام مثال ذلك؛ ثبت على دينه في بيئة فاسدة، في السجن والملك، حتى شهد له بالإحسان

٢ من إيمان آسيا وسط الطغيان

- لما رأت موسى عليه السلام رضيعًا وأخذته راجية للخير فيه
- ولما علم فرعون بإيمان زوجته، اشتدّ غضبه وأمر بتعذيبها. فثُبِّتت يداها ورجلاها بالأوتاد، وتُركت تحت أشعة الشمس الحارقة في الصحراء. وكان يأتيها بين حين وآخر، يطلب منها أن تتراجع عن إيمانها، لكنها كانت ترفض بثبات، وفي أثناء ذلك، أكرمها الله بأن أرسل ملائكة تظلّلها، تخفيفًا عنها. ولما أصرت على إيمانها، أمر فرعون بإلقاء صخرة عظيمة عليها لتُقتل بها. لكن الله برحمته قبض روحها قبل أن تصل الصخرة إلى جسدها، فلم تشعر بالألم، وكان ذلك لطفًا وتكريمًا لها.
- كلما اشتد البلاء، زاد عون الله؛ فقد أراها بيتها في الجنة، فهان عليها العذاب، كما يخفف الله عن الشهداء.

٣ المرأة مع الزوج الكافر

- خالفت آسيا فرعون في كفره، ولم يضرّها ذلك.
- قال قتادة: "ما ضرّ إمرأة كفر زوجها حين أطاعت ربها" فالله لا يؤاخذ أحدًا إلا بذنبه.
- قد يعيش الإنسان في أشد البيئات فسادًا، ومع ذلك يبلغ أعلى المراتب بصدق الإيمان والصبر.
- الله ينصر المؤمنين، ويجعل البلاء زيادةً في إيمانهم، ويأتيهم بالفرج في أشد اللحظات.

٤ ﴿إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

- لما ثبتت آسيا بنت مزاحم، طلبت من الله بيتًا في الجنة.
- لقد كان ثباتها نتيجة معرفتها بالحق ورفضها للباطل، فمن ذاق الباطل وعرف حقيقته، كان أشد تمسكًا بالحق وأبعد عن الرجوع إليه، كما كان حال الصحابة رضي الله عنهم. وكلما استحضر الإنسان الآخرة، ازداد ثباتًا واستقامة.
- قال أنس بن النضر في غزوة أحد: "إني لأجد ريح الجنة من وراء أحد"، واقتحم صفوف المشركين بشجاعة مستحضرًا الآخرة.
قراءة القرآن وتدبره وذكر الآخرة يرسخان الصبر والاحتساب، ويجعلان القلب عارفًا للحق، فتذوب ملذات الدنيا الزائلة أمام يقين النعيم الأبدي كما تجلّى في قلب آسيا، التي رفضت كل مظاهر الظلم والفساد التي كان يمثلها فرعون
كانت ماشطة بنت فرعون تعمل في قصره، وقد آمنت بالله سرًا. فلما علم فرعون بإيمانها، أمر بتعذيبها هي وأولادها حرقًا، لترجع عن دينها، لكنها صبرت وثبتت.
وأمام عينيها، أُلقي أولادها واحدًا تلو الآخر في النار، وهي محتسبة صابرة. حتى جاء دور طفلها الرضيع، فتعلّقت به وكادت تضعف من شدة الألم.
عندها أيّدها الله، فأنطق الرضيع قائلًا: "يا أمّاه، اقتحمي، فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة". فازداد ثباتها، وألقت بنفسها في النار.

٥ ﴿وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

- براءتها من طغيان زوجها وأفعاله.
- لا يستقيم الإنسان على الهدى إلا إذا تبرأ من طرق الضلال.

تدبر سورة التحريم

المحاضرة:17

(الآية 12):

﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾

اختارها الله واصطفاها وطهرها وجعلها من أعظم نساء العالمين.
فعن النبيﷺ قال: " كمل من الرجال كثير، وما كمل من النساء إلا آسيا امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران، وخديجة بنت خويلد، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام".

١ مريم ابنة عمران نموذج للابنة الصالحة في أسرة صالحة

- كانت نشأتها في بيت والدها عمران عليه رحمة الله، الذي أرسى قواعد الطاعة والزهد والعبادة في حياتها، فكانت تربيتها متوافقة مع المبادئ الصالحة.
- الحفاظ على العفة والطاعة، هو ما يميز المرأة الصالحة عن غيرها، ويجعلها نموذجًا يُحتذى به.

٢ الضغط الاجتماعي والشهوات هي التحديات الكبرى للمرأة

- أي فتاة تواجه في حياتها مساحتين رئيسيتين من الاختبار:
- الضغط الاجتماعي: تأثير المجتمع عليها بما يفرضه من سلوكيات أو توقعات، وقد يشكل اختبارًا لقدرتها على الالتزام بالقيم الصحيحة.
- فتنة الشهوات: محاولة الانجذاب إلى علاقات محرمة أو مغريات جسدية، سواء بالكلمات أو المظاهر أو الصور، وهذا اختبار لحفظ النفس والطهارة.
فالمرأة غالبًا ما تتأثر بسهولة بالكلمات الرقيقة أو الإطراء العاطفي، لذلك كانت آسيا امرأة فرعون مثالًا للصلابة أمام الضغوط، وحافظت مريم على عفتها في كل المواقف.
- قد تواجه بعض الفتيات اليوم صعوبة في الالتزام بالحجاب أو الاستقامة بسبب تأثير المجتمع أو المغريات المحرمة.
- العفة والطهارة: حماية ورفعة للمرأة فالعفة أعلى درجات الحفظ؛ وهي حماية النفس من كل ما يفسدها، وتجنب العلاقات المحرمة، والنظر بشهوة، والعادات السيئة، وكل ما يسيء إلى الشرف.

٣ ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾

- فقد حفظت مريم طهارتها وصانت نفسها عن الحرام، وهذا يظهر أهمية العفة والطهارة في حياة المرأة.
- الحفاظ على العفة يمنح المرأة تميزًا ورفعة عند الله، سواء بالحجاب أو بالابتعاد عن العلاقات المحرمة.

٤ مريم بنت عمران نموذج للعبادة والطاعة

- كانت مريم تخدم بيت المقدس، وتميزت بالعبادة والعبودية الخالصة، مع الحفاظ على عفتها.
- جاءها جبريل عليه السلام على هيئة بشر، ففزعت منه وقالت: (قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا * قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا)
[مريم: ١٨-٢١]
هذا يوضح حياءها وعفتها وحفاظها على طهارتها.

٥ ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ﴾

- أرسل الله جبريل فنفخ في جيب درع مريم العذراء، فوصلت النفخة الرحم، فحملت بعيسى عليه السلام.

٦ ﴿مِن رُّوحِنَا﴾

- نسبة تشريف فقط.

٧ ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ﴾

- رضيت بأقدار الله، وصدّقت بشرائع الله وكتبه المنزلة.

٨ ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾

- أي كانت مداومة على العبادة والطاعة، خاضعة لأوامر الله.
- التعبير بصيغة المذكر (ٱلْقَٰنِتِينَ) فيه إشارة إلى أنها قد بلغت في الطاعة درجة عالية، حتى عُدّت في زمرة أكمل العابدين، وغالبًا ما يُعبَّر عنهم بصيغة المذكر للتغليب، وشدة الطاعة.
- فائدة من ذكر (ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ) العفة والطهارة تجعل المرأة سببًا لرفع شأن أسرتها وذكرها والديها بالخير.
والبركة والأثر الصالح يمتد من المرأة إلى الأسرة كلها.

- المرأة الصالحة والملتزمة تجعل من بيتها ومن أسرتها مثالًا يُحتذى به، بينما انعدام العفة يشوه السمعة ويضع الأسرة في مواقف محرجة.
- الحفاظ على العفة والطاعة والاجتهاد في العبادة يرفع المرأة عند الله ويجعلها سببًا للخير لعائلتها.
ينبغي للرجال أن يروا في هذه النماذج النسائية حافزًا لهم للجد والاجتهاد والعمل الصالح.